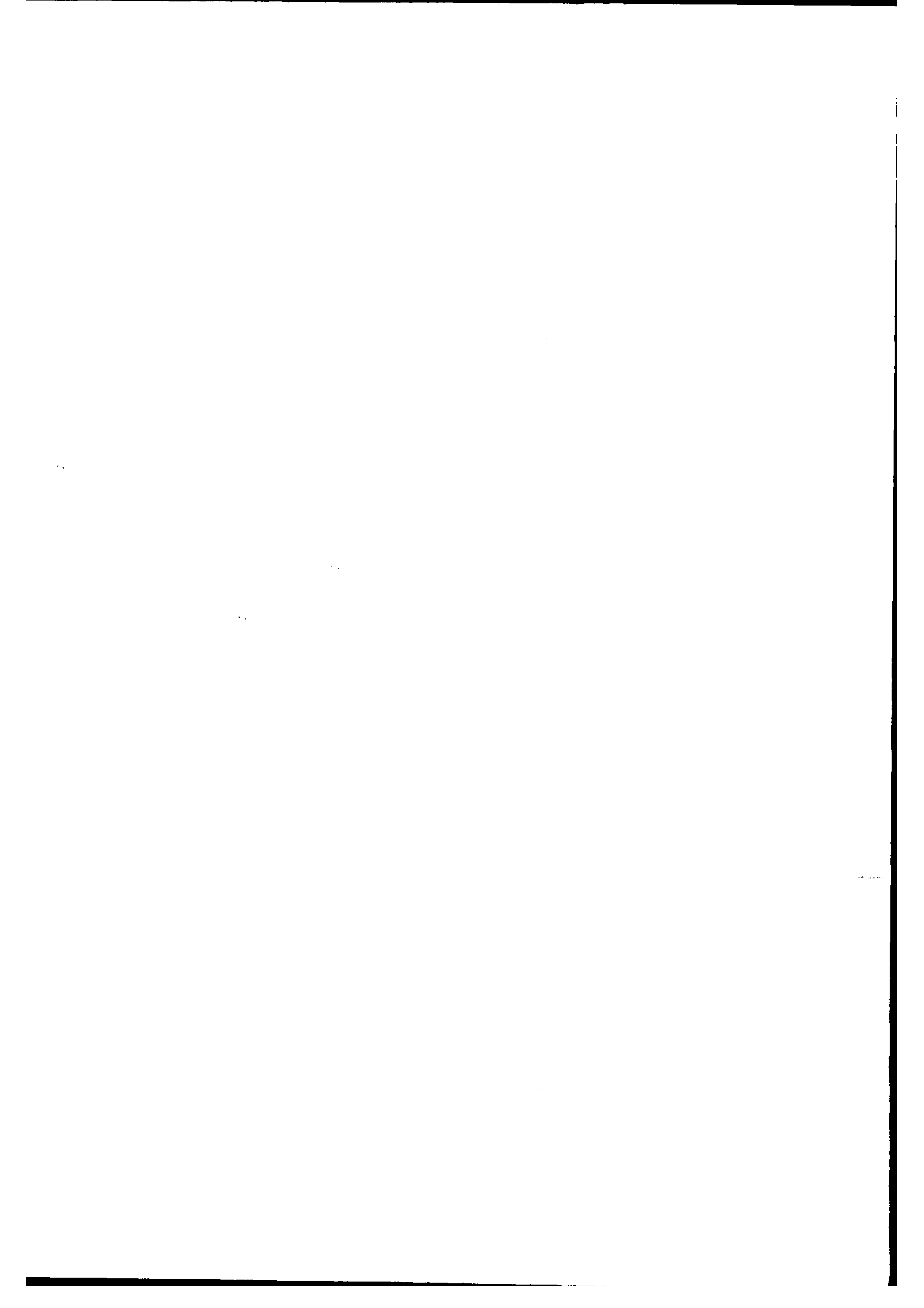

بسم الله الرحمن الرحيم

علم اللغة النظامى

مدخل إلى النظرية اللغوية
عند هاليداى



علم اللغة النظامى

مدخل إلى النظرية اللغوية
عند هاليداى

الدكتور

محمود أحمد نحلة

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

الطبعة الثانية

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م



مُقدّمة

ثمة نظريات لغوية حديثة لم يكتب لها من الشهرة والذيوع ما كتب لغيرها، بالرغم مما تتميز به من ضبط منهجى ، وتواؤم مع طبيعة اللغة، وقابلية للتطبيق. فمنذ أن ظهرت النظرية التحويلية التوليدية فملأت الدنيا وشغلت الناس شغف شباب الباحثين بها ، وتضاءل اهتمامهم بما عداها من نظريات لا تقلّ عنها أهمية فى النظر والتطبيق. ومن هذه النظريات التى لم تلق ما تستحق من اهتمام تلك النظرية التى تُعرف بعلم اللغة النظامى Systemic Linguistics. وهى التى يقوم هذا البحث على التعريف بها ، وإبراز مكانتها بين النظريات اللغوية المعاصرة بالكشف عن التصور العام للغة الذى تدور فى إطاره، والمصادر العلمية التى تعتمد عليها، والأسس المنهجية التى تقوم عليها، مع بيان ما تتفق فيه هذه النظرية مع غيرها من النظريات، وما تفترق به عنها ، وبخاصة النظرية التحويلية التوليدية ، ثم تتبع مراحل تطورها منذ مرحلة النشأة حتى استوت نظرية متكاملة.

لقد عبر بعض الدارسين للمدارس اللغوية المعاصرة عن انصراف الباحثين إلى المدرسة التحويلية التوليدية ، وقلة الاحتفال بما عداها من مدارس، وبخاصة مدرسة لندن، التى نشأت فيها النظرية النظامية وتطورت، فقال جفري سامسون ما ترجمته: " وفى الوقت الراهن نرى أن الفريق المناسب الذى يُفضَّلُ الانتساب إليه هو الفريق الأمريكى؛ فالفكرة مهما كانت غير مختمرة تؤخذ على محمل الجدّ إن كانت صادرة عن " معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا " حتى لو

كانت مسبوقة بأعمال قيمة أنجزت فى " الأمـــاكن الخاطئـــة " ، فعلـــى الرغم من أن هذه الأعمال لا ترفض ، لكنها تئول إلى الإهمال"[١] وقال: " وفى لندن ، وكذلك فى بقية الجامعـــات البريطانيـــة وجامعـــات دول الكومنولث هناك علماء ما فتئوا يعملون ضمن إطار المنهج الفـــيرثى ، لكن عددهم ضئيل الآن ، أو أن منشوراتهم تضاءلت على الأقل أمـــام الجيل الجديد المفتون بتأثير تشومسكى ."[٢] ثم قال : " فبالنسبة للســانى الشاب فى أيامنا هذه فإنّ الطباعة الفاخرة ، والتجليد الأنيق لمحـــاضر الجمعية اللغوية Transaction of the Philological Society تنم عن التهذيب ، وعن الفقر بسترته المرقعة ، وعن الحنين إلى الأمجاد الغابرة على الحدود الشمالية الغربية . أما النشرات المطموسة والمطبوعة على ورق الحرير ، والخارجة لتوها من مطابع نادى اللســانيات بجامعـــة " إنديانا " فتتمتع بكامل إمكانات برنامج " أبولّـــو"، واقتصـــاد البليـــون دولار. لســـوء الحظ يبـــدو أن المنطق السليم (الذى تستطيع مدرســـة لندن أن تقدم منه كل ما يمكن أن يقدمه منـــهج أسســـه رجـــل مـــن يوركشير ، والعلم الدقيق الذى أقل ما يقال إنها حظيت منه بنصيـــب لا بأس به بالمقارنة مع الحركة التى طغت عليها) اعتبارات لا قيمة لـــها أمام هذا التيار الهائل."[٣]

---

(١) جفرى سامسون : مدارس اللسانيات : التسابق والتطور . ترجمة: محمد زياد كبة ــ منشورات جامعة الملك سعود . الرياض ١٤١٧هـ ص ٢٥٠-٢٥١ .

(٢) السابق ص ٢٥١.

(٣) السابق نفسه.

لقد قام علم اللغة النظامى فى مبدأ أمره علـــى أفكـــار اللغـــوى الإنجليزي البارز ج· آر · فيرث J. R. Firth (١٨٩٠ ـ ١٩٦٠).

وعلى الرغم من أن ما نشر من أفكار الرجل يعدّ قليلاً نســبيا ، ويعيبه أمران : فقدان الوضوح inexplicitness ، وفقـــدان التماســك incoherence ، فقد كان أثر فيرث فى تلامذته عظيما ، وكان أكثرهم وعيا بأفكار أستاذه ، واستيعاباً لها ، مايكل ألكسندر كيركوود هاليداي ، الذى استطاع أن يمنح هذه الأفكار الوضوح والتماسك ، واستطاع منــذ وقت مبكر أن يضع إطاراً نظريا محكماً لنظرية لغوية تقوم على أفكار فيرث ، يشاركـــه أحياناً بعض زملائه ، حتى أطلق عليهم الباحثون : " الفيرثيين الجدد " Neo-Firthians · وما من شك فى أن فارسهم الذى لا يشق له غبار كان هاليداي · على أن هاليداي لم يكتف بمـــا تمثلـــه مـــن أفكار فيرث ، بل وسّع دائرة معارفه ، فأفاد من مصادر أخـــرى لعلّ أهمها نظرات مالينوفسكى وورف ، وهيلمسلف ، ومدرسة براغ ، فى وضع نظرية محكمة للوصف اللغوى من الممكن اســـتخدامها فـــى وصف لغات مختلفة ، ومازال بها يطورها ، ويعدل مسارها حتى ظـــنّ بعض الباحثين أنه عدل عن أفكاره المبكرة ، واتجه بالنظريـــة اتجاهـــا آخر جديدا ·

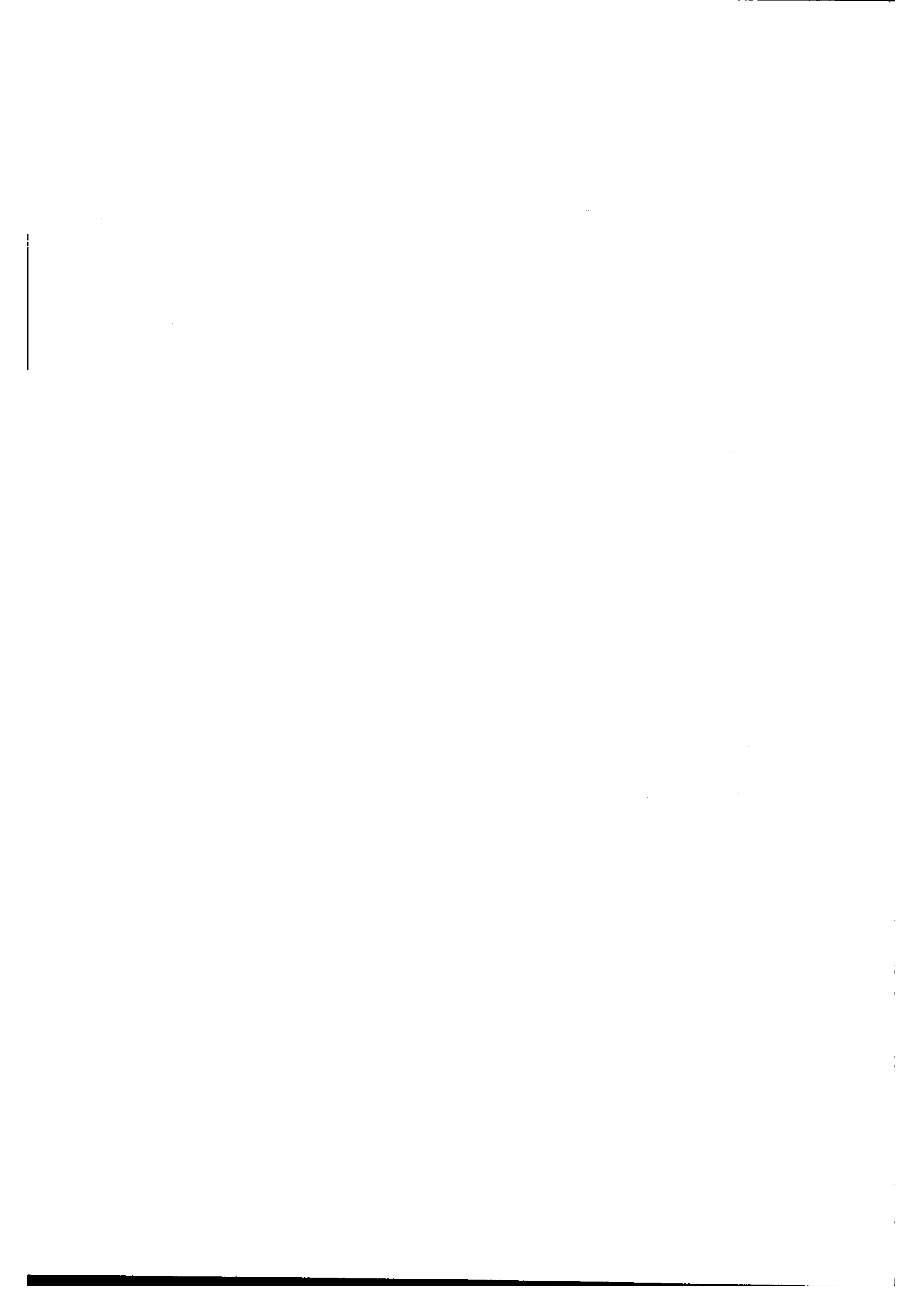
والحق أن النظرية قد مرت بمراحل من التطور لكنها لـــم تفقـــد فيها- على الأقل عند هاليداي - الأسس المنهجية التى قـــامت عليـــها، حتى ليمكن القول إن هاليداي لم يخرج بالنظرية عن إطارها المرســـوم لها بالرغم مما قام به من تطوير، لكن بعض زملائه ، وبخاصة هدسون

انحرف بمسار هذه النظرية إلى وجهة أخرى ، واقترب بـــها اقتراباً شديداً من نظريات أخرى تختلف عنها اختلافاً بينا كالنظرية التحويليـــة التوليدية • فتداخلت عنده بعض جوانبها مع هـــذه النظريــة ، وفقـــدت بعض تميزها أو كادت • من ثم سوف يكون تتبعنا لهذه النظرية مـــن خلال ما قام به هاليداي نفسه محددين تصوره العام ، ومصادره العلمية التى استعان بها على تأسيس هذه النظرية ، والأسس المنهجية التى تقوم عليها وتختلف بها عن غيرها من النظريات المعاصرة ، ثـــم نعـــرض لمرحلتين أساسيتين من مراحل تطورها.

وبناء على ما قدمت جعلت هذا البحث فى بابين وأربعة فصـــول فعقدت الفصل الأول من الباب الأول للمصادر العلمية التى استعان بـــها الرجل فى وضع نظريته العلمية ، وعقدت الفصل الثانى من هذا البـــاب للحديث عن الأسس المنهجية التى يقوم عليها علم اللغة النظـــامى، مـــا يتفق منها مع النظريات الأخرى المعاصرة. وما يختلف منها عنها. وقد تتبعت فى الباب الثانى نشأة النظرية وتطورها فقسمته إلى فصلين كـــل منهما يمثل مرحلة أساسية من مراحل تطورها فجعلـــت الفصـــل الأول للحديث عن المرحلة الأولى من تطور النظرية متمثلة فى نحو المقيـــاس والفصيلة ، وجعلت الفصل الثانى للمرحلة الثانية التى بـــدأت معالمـــها تظهر منذ منتصف العقد السادس من القرن العشرين حتى انتهت إلـــى نموذج أشدّ إحكاماً من سابقه سمى علم اللغـــة النظـــامى Systemic Linguistics أو النحو النظامى Systemic Grammar لمـــا أصبـــح لمفهوم النظام من أهمية بالغة فيه• وقد حملت ملامح التطـــور توجـــها

وظيفيا جعل بعض الباحثين يطلق على نموذج هاليداي في هذه المرحلة " النحو النظامى الوظيفى " أو علم اللغـــة النظـــامى الوظيفـــى . أمـــا المرحلة الثالثة فيمكن التاريخ لها بكتاب هاليداي مدخـــل إلـــى النحـــو الوظيفى ســـنة ١٩٨٥ An Introduction to Functional Grammar، إذ كان ثمرة اهتمامه المتزايد بوظائف اللغة فى المجتمع وما يعبر عنـــها من تراكيب ، وقد وضع به أسس نظرية وظيفية غير منبتة الصلة عـــن الأسس المنهجية التى قام عليها فكره اللغوى فى المراحل الثلاث ، بـــل إن نحوه النظامى يمثل المرتكز الأساسى لنحو الوظيفى ، ومـــن هنـــا تميزت نظريتـــه الوظيفية عن نظريتين وظيفيتين معـــاصرتين همـــا : النحو الوظيفى Functional Grammar عند ســـايمون دك S.C.Dik (١٩٨٠) ، والنحـــو الوظيفى التوحيـــدى Functional Unification Grammar عند كاي Kay (١٩٨٤ ، ١٩٨٥). وهذه المرحلة مـــن الثراء والعمق بحيث تحتاج إلى بحث منفرد يعنى بجوانبهـــا المختلفة . مـــن ثـــم اقتصرت فى هذا البحث على المرحلتين الأولـــى والثانيـــة ، وتركت لمـــن يأتى بعدى استكمال هذا الجانب. ولا يفوتنى فى ختام هذه المقدمة أن أتوجه بالشكر الجزيل للصديق العزيز الأستاذ الســـيد عبـــد القادر على متابعته فى إخلاص وتجرد مراحل طباعـــة هـــذا البحـــث وتصحيح تجاربها . والله الموافق والمعين.

محمـــود نحلـــة



البَابُ الأَوّلُ

المصادر العلمية والأسس المنهجية

الفصل الأول

المصادر العلمية



تعددت المصادر التى صدر عنها هاليداي فيما وضع من أسس نظريته وليس من الميسور تمييز ما استقاه من هذه المصادر عن أفكاره الخاصة • وقد استصعب ذلك روبنز إلى حدّ جعله يقول : " إن السؤال عما وسّعته نظرية هاليداي وطورته من أفكار فيرث أو مما أخذه عن غيره يظل بلا جواب •"[1] ولعل مردّ ذلك إلى أن الرجل تمثل ما جاء فى هذه المصادر حتى ملك زمامه ، ثم طوره ، وأحكمه، وخلطه بفكره وتصوره، فاستوى خلقاً آخر.

على أن ذلك لا يمنعنا – وما ينبغى له – من محاولة تعرف مصادره الأولى ، وكيفية استثماره لها ، وبخاصة فى المرحلة المبكرة من وضع النظرية • وليس من شك فى أن مصدره الأول فى هذه المرحلة كان أستاذه فيرث بما أرساه من مبادئ نظرية أفاد فيها من بعض اللغويين البريطانيين مثل هنري سويت ودانيال جونز فضلاً عن عالم الأنثروبولوجيا البولندى مالينوفسكى ، كما أفاد فيها من اختلاطه بالدارسين والباحثين الأجانب فى مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية SOAS الذين تختلف ألسنتهم وعاداتهم وأنماط سلوكهم •

ولفيرث مكانة رفيعة بين رواد البحث اللسانى اللغوى المعاصر، فقد كان أول أستاذ لعلم اللغة العام فى الجامعات البريطانية عام ١٩٤٤ ، وكان أول من جعل من علم اللغة دراسة علمية متميزة معترفاً

(1) Robins,R.H.:General Linguistics. An Introductory Survey. Longman London , New York (1980) .P.282

بها فى بريطانيا العظمى[1] بعد أن أسس قسما لعلم اللغـــة عـــام ١٩٣٢ كان الأول من نوعه فى بريطانيا [2] وكان نواة لمدرسة لغوية عرفـــت من بعد بمدرسة لندن ، وعدت المدرسة الرابعة بجانب المدارس الكبرى الثلاث : مدرسة براغ ، ومدرسة كوبنهاجن ، والمدرسة الأمريكيـــة. [3] وقد تلمذ لفيرث معظم الباحثين فى مجال علم اللغة فى بريطانيا ، فجـاء إنتاجهم متأثراً بأفكاره وتصوراته حتى لقد أصبح اسم مدرســـــة لنـــدن يطلق على المنهج البريطانى بعامة[4] كما تلمذ له عدد من رواد الـــدرس اللغوى الحديث فى مصر والعالم العربى منهـــم تمام حسان ، وكمـــــال بشر ، وعبد الرحمـــن أيوب ومحمـــود السعـــران[5] فكانوا عونـــا لـــه على دراسة أصوات العربية الفصحى ونظامها المقطعى والمقارنة بينها وبين العامية المصرية ، إيضاحاً لنظريته فى الفونولوجيا التطريزية. [6]

لقد اهتم فيرث اهتماما كبيراً بأعمـــــال اللغوييـــن البريطـــانيين وبخاصة هنري سويت H. Sweet (١٨٤٥ ـــ ١٩١٢) ودانيال جونـــز

---

(1)Ibid, P. 349.

(٢) جفرى سامسون: مدارس اللسانيات : التسابق والتطور ، ترجمة محمد زيـــاد كبـــة. منشورات جامعة الملك سعود الرياض (١٤١٧هـ/١٩٩٧) ص ٢٢٧ .

(3)Helbig, G. 1981 Geschichte der neueren Sprachwissenschaft. Opladen S.8f

(٤) جفرى سامسون : مدارس اللسانيات ص ٢٢٧.

(٥) حلمى خليل : العربية وعلم اللغة البنيوى ، دراسة فـــى الفكـــر اللغـــوى الحديـــث (الإسكندرية ١٩٩٦) ص١٦٧.

(6) Firth. J.R. Sound and prosodies, in: Jones, W.E & lover, J. (eds): (1979. Phonetics in Linguistics A Book of Readings. P.52ff.

D. Jones (١٨٨١ ــ ١٩٦٧) وقد كان سويت يعد بحق رائـــد علــم الأصوات الحديث ، ويعدّ كتابـه Handbook of Phonetics (١٨٧٧) بالغ الأهمية فى انتشار المعرفة بهذا العلم الجديد.[١] وكـــان اهتمامـــه بالجوانب العلمية فى علــم الأصوات يعدل اهتمامه بالجوانب النظرية ٠ وكان ظاهر الميل إلى المنهج الوصفى فى دراسة اللغة فــــى مواجهـــة المنهج التاريخى الذى كان سائداً فى ألمانيا ، وبرغم ذلك كان الألمـــــان أسبق إلى الاعتراف به عالما مبرزاً فى الدرس الصوتى ، وقد تحقـــق له ذلك فى ألمانيا أسرع مما تحقق له فى وطنه ، إذ منعه اتجاهه النقدى من الحصول على درجة الأستاذية فى أية جامعة بريطانية.[٢]

وأما دانيال جونز فقد تأثر مذهب سويت ووسع جوانبه[٣]وكان له اهتمام مماثل بالجوانب العلمية فى الدرس الصوتى ، واستطاع أن يثير الاهتمام بمشكلة الكتابة الصوتية فى بعض اللغات التى تختلف أنظمتـــها الكتابية عن نظام الإنجليزية كالسنسكريتية ، والفارســـية ، والعربيـــة ، وانتهى إلى أن نظام الكتابة فى بعض اللغات ومنـــها العربيـــة أكـــثر ملاءمة للنظام الفونولوجى منه فى اللغة الإنجليزية.[٤] وقد أفـــاد مـــن

---

(1)Butler, Ch.S.: 1985 Systemic Linguistics . Theory and Applications London. P. 1 f

(٢)ر ٠هــ٠ روبنز : موجز تاريخ علم اللغة (فى الغرب) ترجمة أحمد عوض ٠ عــالم المعرفة ٢٢٧ الكويت ١٩٩٧ ص٣٢٣ ٠

(٣)السابق ص ٣٤٨

(٤)السابق نفسه ص ٣٢٢ وانظر.

Firth J.R. : Sound and Prosodies, in : Jones,W.E & lover, J.(eds) 1979 linguistics A book of Reading (longman) P51-52 ff

كتابه خلاصة علم الأصوات Outline of English Phonetics عدد لا يحصى من دارسى اللغات ومدرسيها. [١]

وقد كان أثر هذين العالمين فى فيرث عظيما ؛ إذ أخذ عنهما الاهتمام بوصف اللغات لأغراض عملية،[٢] وأعانه على ذلك عمله فى مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية SOAS ، وكانت مؤسسة تابعة لجامعة لندن أنشأتها الحكومة استجابة للحاجة الملحة لدراسة لغات الإمبراطورية وثقافاتها ، وكانت تغص بأناس أمضوا جزءاً كبيرا من حياتهم العملية فى اتصال مباشر باللغات والثقافات الأجنبية ٠ وكانت الإمبراطورية البريطانية بالقياس إلى مدرسة لندن بمثابة الهندية الأمريكية بالقياس إلى الوصفيين الأمريكيين ، مع فارق شديد الأهمية هو أنّ الأمريكيين انصرفوا إلى دراسة لغات على وشك الانقراض فى حين أن اللندنيين كانوا يدرسون لغات حية غير مهدّدة بالانقراض، فواجهوا مهمة تطوير الوسائل اللازمة للتواصل مع أهل هذه الحضارات،[٣] ومن هنا أصبحت الجوانب العملية فى دراسة اللغة جزءاً لا يتجزأ من المنهج البريطانى لدراسة اللغة ، وبرزت موضوعات مثل تطوير نظم الكتابة ، والتخطيط اللغوى على خارطة البحث اللغوى ، وعنى فيرث بتدريس مقررات فى علم الاجتماع اللغوى Sociology of Language فى العقد الثالث من القرن العشرين قبل أن يلتفت إليه

---

(1) Butler, Ch.S. (1985) p.1-2

(2) Ibid, P. 2.

(٣) جفرى سامسون : مدارس اللسانيات ص ٢٢٧ـــ٢٢٨.

- Butler, Ch .S.(1985)P.2.

الأمريكيون بوقت طويل.[1]

ولما كان الاهتمام فى مدرسة لندن حتى ذلك الحين منصبا على الدرس الصوتى كان من الطبيعى أن يولى فيرث هذا الجانب جلّ اهتمامه ، وقد انصب اهتمامه على علم وظائف الأصوات ، وكان من أهم ما وصل إليه أن النظام الصوتى فى أية لغة يتألف من عدة نظم polysystemic ، وهى نظم من الاختيارات التبادلية التى يحجب بعضها بعضاً mutuallay exclussive ، وهى أيضا نظم من المعنى ، وهو يرى أن هناك تلازماً بين الصوت والمعنى ؛ إذ كل اختيار لصوت إنما هو اختيار لمعنى ، وقد شجع هذا أعضاء المدرسة على توجيه قسم كبير من اهتمامهم إلى دراسة التنغيم intonation من حيث هو مجال من مجالات الفونولوجيا يسهل فيه الدفاع عن التلازم بين الصوت والمعنى، وقد حققوا فى دراسة التنغيم ما لم يحققه الأمريكيون مهما كان انتماؤهم.[2]

ولعلّ أكثر الجوانب تميزا فى عمل فيرث هى الفونولوجيا التطريزية prosodic phonology التى عرضت أول عرض منظم سنة ١٩٤٨ م ، ثم طورت عند التطبيق على عدد من اللغات ـ ومنها العربية – فى العقد التالى.[3]والتحليل التطريزى عنده يقوم على

(١) جفرى سامسون : مدارس اللسانيات ص ٢٢٨.

(٢) السابق ص ٢٣٦- ٢٣٧، ٢٤٢.

(٣) روبنز : موجز تاريخ علم اللغة ص ٣٥٥ وانظر بحث فيرث Sounds and Prosodies الذى نشر أول مرة سنة ١٩٤٨ فى
Transaction of the philological Society, 127-152.

عنصرين أساسيين يختلف بهما اختلافاً بينا عن التحليل الفونيمي في المدرسة الأمريكية.

أحدهما : الوحدات الفونيماتية phonematic units : وهي وحدات فونولوجية ترتب الأصوات فيها على أساس ما بينها من علاقات قائمة على التعاقب successivity.

والثاني : المعلم التطريزي prosody : وهو يتجاوز حدود المقطع الواحد والكلمة الواحدة ليشمل الجملة أو القول ، ومن أنواعه النبر ، والتنغيم ، والوقف، والجهارة، والإيقاع ، والطول ، والسرعة ، ويشمل أيضاً بعض المعالم الثانوية كالتشفيه liprounding ، والتأنيف nasalization. وهذان الاختلافان قد يجمعهما القول بأن النموذج الفونيمي أحادي البعد unidimentional أو وحيد النظام monosystemic ، أما النموذج التطريزي فهو ثنائي البعد two- dimentional أو متعدد النظم polysystemic.(١)

(1)Lyons, J.:(1962) Phonemic and non –phonemic phonolgy : some typological reflections, in :Jones, W.E & Lover, J.(1979) P . 231
- Robins, R.H. (1980) P. 152
- Gardner, T. Einführung in die moderne englische phonologie. Heidelberg 1975 S.56f.

كمال بشر : التفكير اللغوي بين القديم والجديد. مكتبة الشباب (القاهرة د.ت) ص١٣٥-١٣٦.

ودراسة اللغة عند فيرث تقوم على محورين : تركيبى syntagmatic أو أفقى horisonal وجدولى paradigmatic أو رأسى vertical ، فعلى المحور الأفقى تؤلف العناصر اللغوية تراكيب structures ، وعلى المحور الرأسى ترتب العناصر فى أنظمة systems . [١]

وقد استخدم فيرث مصطلح التركيب استخداماً متماسكا فى أعماله كلها[٢] وهو عنده علاقة تبادلية بين العناصر اللغوية فى نص أو جزء من نص[٣] ويتجلىّ على المستويين المعجمى والنحوى فى ظاهرتين بارزتين هما : التلازم collocation والتوارد collogation ، فالتلازم يقوم على علاقة دلالية بين الكلمات ، والتوارد يقوم على علاقة نحوية بين العناصر اللغوية[٤] فالتوارد يختلف عن التلازم فى أنه علاقة تبادلية بين الفصائل النحوية كالأداة والاسم والفعل والظرف ... الخ وتواردها عنده جزء من معناها النحوى. [٥]

---

(1)Malmkjær, K. : Scale and Category Grammar, in : Malmkjær K.(ed) 1991 The Linguistics Encyclopedia. Routledge. London-New York..

(2)Butler, Ch. S . (1985) P. 7

(3)Palmer, F.R . (1968) Selected Papers of J . R . Firth , Longmant . P .103 .

(4)Firth J .R . : (1957) Papers in Linguistics 1934 – 1951 , Oxford University press . P . 196

(5)Butler, Ch. S . (1985) P. 8

- De Beaugrande, R. (1991) : linguistic Theory. The Discourse of fundamental Works. Longman p. 252 f.

واستخـدم أيضا مصطلح " نظـام " فـي أبحاثـه المبكرة (في العقد الثالث من القرن العشرين) استخداماً موسّعاً قياساً علـى أنظمـة السلوك الاجتماعي والفردي ثم استخدمه في أبحاثه المتأخرة دالاًّ علـى مجموعة متعددة من الاختيارات في سياق محدد،[١] كما استخدم أيضـا مصطلح systemic دالاًّ على الوصف النظامي للظواهر اللغوية، وهو المصطلح الذي جعل منه هاليداي في نحو سـنة ١٩٦٦ وصفـاً لنظريتـه اللغويـة التي عرفـت بالنحـو النظامـي Systemic Grammar أو علم اللغة النظامي Systemic Linguistics .[٢]

وقد حاول فيرث جاهداً أن يضبط مفهوم النظام فرأى أن معنى كل نظـأم تحدده العلاقات بين العناصر التي يتكـون منـها النظـام ، فمعنى الرفع مثلاً في نظام ذي أربع حالات إعرابية يختلف قطعاً عنـه في نظام ذي حالتين إعرابيتين أو أربع عشرة حالة ، والمفرد في نظـام للعدد ذي نوعين : مفرد وجمع له معنى نحوي يختلف عنه فـي نظـام ثلاثي : مفرد ومثنى وجمع أو رباعي كما في اللغـة الفيجيـة Fijian التي تفرق بين المفرد والمثنى وجمع القلة وجمع الكثرة. ومعنى الاسـم في نظام ذي ثلاثة أقسام : اسم وفعل وحرف يختلف عن معنى الاسـم في نظام ذي خمسة أقسام تتميز فيه الصفة والضمير عن الاسم والفعـل والحرف.[٣]

---

(1)Kress, G. (1976) : Halliday : System and Function in Language . London P . xiii.

(2) Butler, Ch . S . (1985) P . 6.

(3) Firth, J. R . (1957) P . 227.

وقد لحظ بالمر أن هذه النظرة تكشف عن توجه سوسيري قـــوى برغم رفضه الظاهرى لدى سوسير.[1] على أنه يختلف عن دي سوسير فى أنه يرى اللغة عدداً ضخمــاً مــن الأنظمــة تعمــل معــــاً، وأن تعــدد الأنظمـــة هذا هــو الذى يناســب تشــعب الظــاهرة اللغويـــة وتراكبها ، وهو لذلك يرى أن من غير الممكن وصــــف اللغـــة كلـــها بضربـــة واحـــدة قاضية ، ولكن الوصف اللغوى يجب أن يجـــرى - على الأقل فى مراحله الأولى ــ على مـــا يســمى اللغـــات المقيـــدة restricted languages كاللغات المختصة بالعـــــلوم ، والرياضـــة ، والدعاية والعناوين ، وكتابات المؤلف الواحـــد ... الـــخ.[2] أمــا دى سوسير فهــو على أن اللغة نظام واحد ضخم تمثل ظواهر اللغـــة فيــه أجزاء فى نسق كلى واحد.[3]

وهو يختلف مع دى سوسير أيضا فى وجوب التفرقة بين اللغــــة langue والكلام parole ، ويرى فيرث أن القول بذلك يقتضى القـــول بثنائية الإنسان نفسه ، لأنه إن يكن مكوناً من جسد وروح فليـــس مـــن الممكن فصل أى منهما عن الآخر ، فكذلك لغته[4] وهو كذلك يــــرى أن

---

(1) palmer , F . R (1968) P . 7

- Kress , G . (1976) P . xi

(2)Malmkjær ,K (1991) P385.

- Butler , Ch . S . (1985) P . 5

(٣)ميلكا إفيتش : اتجاهات البحث اللسانى ترجمة : سعد عبد العزيز مصلوح ووفاء كـامل فايــد . المجلس الأعلى للثقافة (القاهرة ١٩٩٦) ص ١٩٤.

(٤) كمال بشر : التفكير اللغوى بين القديم والجديد مكتبة الشباب (القــاهرة د . ت) ص ١٣٢.

للغة مظهرين : منطوقاً تسمعه الأذن ومكتوبا تراه العين ، وكلاهما حقيق بالدراسة.[1]

وقد كان لالتقاء فيرث ببرونسلاف مالينوفسكى (١٨٨٤ ـ ١٩٤٢م) فى العقد الثالث من القرن العشرين أثر كبير فى صياغة نظريته اللغوية[2]فقد كان مالينوفسكي أستاذاً لعلم الإنسان (الأنثربولوجيا) في مدرسة لندن للاقتصاد ، وبقدر ما كان مالينوفسكى أنثروبولوجيا كبيرا كان لغويا فطريا موهوباً أتاحت له أبحاث الميدانية فى مجموعة من جزر جنوب الباسيفيك تعرف بجزر التروبرياند Trobriand أن يعايش أهل هذه الجزر ، وأن يجيد لغتهم ، وهم قوم بدائيون يعيشون على صيد الأسماك ، وإنشاء الحدائق ، وتسمى لغتهم كيريونيان ، وقد قام الرجل بعمله الميدانى كله بين شعب هذه الجزر مستخدماً لغتهم ، لكنه واجه مشكلة كيف يشرح أفكاره للقراء الناطقين بالإنجليزية ، وكيف ينقل إلى الإنجليزية النصوص الكثيرة التى جمعها من هذه اللغة على نحو واضح جلي لا لبس فيه ولا غموض ، فى حين أن الثقافة التى درسها تختلف كل الاختلاف عن تلك الثقافة التى يألفها الغربيون،[3] فحاول أولاً أن يقدم ترجمة حرة واضحة مفهومة، لكنه وجدها لا تعبر عن شئ من لغة هؤلاء ولا ثقافتهم ، ثم عاد فقدم ثانيا ترجمة حرفية literal تلتزم الأصل ، فجاءت غامضة غير مفهومة

---

(1)De Beaugrande, R. (1991) p.211.

(2)Butler, Ch. S. (1985) p. 2.

(3)Halliday,M.A.K.& Hasan, R(1990): Language, context and Text : Aspects of Language in Social- semiotic Persective. Oxford.P.5 f

عند القارئ الإنجليزي ، فعمد إلى حلّ الإشكال بتزويد النص المترجم بتعليقات مفصّلة ليست كالتعليقات التى يضعها فقهاء اللغة حين يترجمون نصا قديما مكتوبا ، بل كانت تعليقات تضع النص فى بيئته الحية.[1]

وحتى ذلك الحين كانت كلمة سياق context تعنى النص المصاحب con – text أي الكلمات والجمل التى ترد قبل جملة معينة، تكون محور الاهتمام ، أوبعدها ، فأحس مالينوفسكى بالحاجة ملحة إلى مصطلح يشمل السياق اللغوى الملفوظ ، ويشمل أيضاً الموقف أو السياق غير اللغوى الذى قيل فيه النص، فصاغ فى بحث له سنة ١٩٢٣ مصطلح سياق الحال context of situation ، لكنه عاد فرأى أن ذلك غير كافٍ ، ولا بدّ من إيضاح لما وراء ذلك من جوانب ثقافية، إذ ظهر له أن لهذه الجوانب دورا لا يستهان به فى إيضاح المعنى، فأضاف إلى سياق الحال مفهوماً آخر أسماه سياق الثقافة context of culture، وعدهما كليهما لازمين لفهم صحيح للنص.[2]

وقد لحظ مالينوفسكى أيضاً أن الكلام فى لغة هؤلاء ليس مجرد قول ، بل هو فعل أيضاً يقارن اللفظ فى الوجود ، فالصرخة التى تعلن عن وجود كمية من الأسماك تعنى إعادة تنظيم جميع حركات القوارب من جديد ، فالكلمات أدوات ، ومعنى الأداة هو استعمالها. وقد استطاع فتجنشتاين أن يحقق شهرة واسعة بإعادة صياغة هذه الفكرة بعد

---

(1)Ibid , P . 6

(2)Ibid . P . 7 f

مالينوفسكي بوقت طويل[1] وأخذها عنه أوستن لتكون منطلقـــاً لوضـــع نظرية الفعل الكلامى speech act theory وكان ذلك فى المحاضرات التى ألقاها فى جامعة أكسفورد فى العقد الثالث من القرن العشرين ، ثـم فى المحاضرات التى ألقاها فى جامعة هارفارد ونشرت بعد وفاته فـــى كتاب عنوانه : How to do things with words (سنة ١٩٦٢)[2]

على أن الرجل حين بين ضرورة الوقوف علـــى ســـياق الحـــال وسياق الثقافة لإيضاح المعنى ، أو نقله من لغة ذات ثقافة إلى لغــة ذات ثقافة أخرى كان يعتقد فى البداية أنك لا تحتاج إلى ذلـــك إلا إذا كنـــت تدرس لغة بدائية primitive ، أى لغة ليس لهـــا ثقافة مدونة ، لكنك لا تحتاج إليه لوصف لغة ذات حضارة كبرى ، لكنه بعد مضى نحو عشر سنوات اعترف فى شجاعة بأنه كان مخطئاً ، وأن الوقوف على ســـياق الحال وسياق الثقافة لازم لفهم الإنجليزية ، أو أية لغة ذات حضـــارة ، لزومه لفهم أية لغة بدائية ، غاية ما فى الأمر أن سياق الثقافة فى كـــل منهما يختلف عن الآخر . فالقول بأن أية لغة ينبغى أن تفهم فى إطـــار سياق الحال وسياق الثقافة اللذيـــن تستخدم فيهما قول صحيح ينطبـــق على اللغات فى كل مجتمع ، وفى أية مرحلة من مراحل التطور.[3]

---

(١)جفرى سامسون : مدارس اللسانيات ص ٢٣٨.

(2)Lyons , J . (1996) : Linguistic Semantics . An Introduction Combridg University Press . P 236

– جفرى سامسون : مدارس اللسانيات ص ٢٣٨

(3)Halliday , M. A . K . and Hassn , R . (1990) P . 7 f

– جفرى سامسون : مدارس اللسانيات ص ٢٣٩.

وقد خلص مالينوفسكى من ذلك كله إلى أنّ اللغة ليست ذاتية النظام ، إذ لا يمكن الوصول إلى المعنى بالاعتماد على عناصرها الذاتية فحسب ، و إنما هى تعتمد اعتماداً تاما على المجتمع الذى تستخدم فيه ؛ إذ هى تستخدم لتحقيق وظائف معينة ذات خصائص محددة فى مواقف اجتماعية بعينها. (١)

وبناء على ذلك جاء تعريفه للمعنى بأنه " وظيفة فى السياق " function in context " ، وهو ما صاغه فتجنشاتاين من بعد فى قولته المشهورة : " المعنى هو الاستعمال " Meaning is use ".(٢)

وهذه الوظائف عنده هى: (٣)

١ – الوظيفة التداولية : pragmatic : حين تكون اللغة شكلا من أشكال الفعل أو الحدث.

٢ – الوظيفة السحرية : magical : حين تكون اللغة وسيلة للتحكم فى البيئة.

٣ – الوظيفة الروائية : narrative : حين تكون اللغة مخزناً للمعلومات من خلال أرصدتها المحفوظة عبر التاريخ.

---

(1)Kress , G . (1976) P . viii

(2)Lyons, J (1977): Semantics. Cambridg University Press. Vol. 2 P.727.

- Levinson, S.C. (1983) Pragmatics. Cambridge University press. P. 227

(3) Kress, G. (1976) P. viii

لقد وقف فيرث على ما قدمه مالينوفسكي من نظرات في دراسة اللغة ، واستطاع أن يستثمرها في وضع نظريته اللغوية ، وكان أهم ما أفاد منه تصور مالينوفسكي لسياق الحال. على أنه نظر فوجد الهدف منه عند مالينوفسكي لا يتعدى إيضاح المعنى وتفسيره في حالات معينة من استعمال اللغة ؛ إذ كان معنيا بدراسة نصوص معينة ، ولم يكن مهتما بإحكام نظرية لغوية ، بل كان إسهامه اللغوى بالمعنى الاصطلاحي يتمثل في تعليقات متفرقة مبثوثة في تحليلاته الاثنوجرافية (=العرقية).[1] أما فيرث فكان في حاجة إلى تصور لسياق الحال يبنى عليه نظرية لغوية خاصة بحيث يكون أشد تجريداً ، وأوسع تطبيقا ، فاستطاع أن يطور هذا المفهوم ليصبح جزءاً من نظرية لغوية عامة.[2]

ولم يكن الإطار الذى وضعه فيرث سنة ١٩٥٠ لوصف سياق الحال أشبه بعرض بالفيديو للشخوص والأصوات التى تلابس الحدث ، على نحو ما كان عند مالينوفسكي، بل كان بنية نموذجية مجردة يجرى عليها ما يتكرر من وقائع الاستخدام.[3]

---

(1)Butler, Ch.s. (1985) P.4

(2)Halliday, M.A.K. & Hasan, R. (1990) P. 8.

(3)Ibid, P.7.

وتتألف هذه البنية من العناصر الآتية : [١]

١ -المشاركون participants فى الموقف ، ودور كل منهم فيه.

٢ - الحدث الذى يقوم به المشاركون ، وهو يشمل الحدث اللفظى verbal action وغير اللفظى non – verbal action.

٣-العناصر الأخرى ذات الصلة بالموقف كالبيئة التى يجرى فيها.

٤-النتائج أو الآثار المترتبة على ما يقوله المشاركون فى الموقف.

ويذكر هاليداي أن أفضل تطبيق لهذا التصور قام به زميل لفيرث هو : ت • ف ميتشل T.F. Mitchell الذى كان أستاذاً لعلم اللغة أيضا فى ليدز ، فقد درس ميتشل " لغة البيع والشراء " التى يتعامل بها الناس فى المحلات والأسواق والمزادات فى شمال أفريقيا ، وكانت اللغة المدروسة هى اللغة العربية • وقد استطاع ميتشل أن يطبق تطبيقا جيداً مفهوم فيرث لسياق الحال ، ومنذ ذلك الحين توالت المختصرات والمداخل التى يحاول فيها اللغويون دراسة السياق الخاص بنص من النصوص، ولعل أشهرها ما قام به عالم الأنثروبولجيا الأمريكى ديل هايمز Dell Hymes فى بحث له عن علم أعراق الاتصال ethnography of communication (١٩٦٧) فقد اقترح مجموعة من المفاهيم لوصف سياق الحال تماثل ما عند فيرث من جهات عديدة.[٢]

---

(1) Butler . Ch.S. (1985) P . 4-5.

(2)Halliday , M .A . K . & Hassan , R . (1990) P . 8 .

على أن عناية فيرث اللغوى بسياق الحال لم تجعله يهمل سـياق المقال فذهب إلى أبعد مما انتهت إليه جهود مالينوفسكى الأنثروبولوجية والعرقية ، فرأى أن العناصر النحوية لها وظيفة فى السياقات النحوية ، والعناصر المعجمية لها وظيفة فى السـياقات المعجميـة ، والعنـاصر الفونولوجية لها وظيفة فى السياقات الفونولوجية ، وهى كلها لا بـدّ أن تكون موصولة بمادة نصية محددة.[1] وهو بهذا يقترب اقتراباً شديداً من مفهوم التوزيع distribution فى البنيوية الأمريكية من دون أن يعنـى هذا اهتماماً باللغة بوصفها نظاماً شكليا كما هى الحال عند البنيويين ، بل اللغة عنده جزء من النشاط الاجتماعى.[2]

وقد بنى فيرث على مفهومه للسياق مفهومه للمعنـى ، فـالمعنى عنده هو الوظيفة فى السياق حالاً ومقالا ؛ فالعبارة أو جـزء منـها لا تكـون عنـده ذات معنـى إلا إذا اسـتعملت علـى نحـو ملائـم فى سياق صحيح[3] وقـد ذكر فيرث مثالاً من اللغة الإنجليزيـة هـو "say when " (قل : متى) فهذا القول يفهم بطرائق متعددة بناءً علـى السياقات التى يقال فيها ، وليس من الممكن تحديد معناه إلا فى إطـار سياق محدد .[4]

---

(1)Bulter, ch.S. (1985) P.5

(2)Helbig, G. (1981) S.110.
Firth, J.R. (1957) P. 181.

(3) Lyons, J: Firth's Theory of "Meaning" in: Bazel, C.E. – Catford, J.C. – Hallidany, M.A.K. – Robins, R.H.: (eds.) 1966. In Memory of J.R. Firth. Longman., P. 290.

(4)Firth. J.R. The Tongues of Men and speech. London (1964) P.110.

لقد استبعد فيرث التفسير العقلى للمعنى الذى جاء به أوجدن وريتشاردز من حيث هو علاقة بين الأشياء والرموز ، ورأى المعنى تحدده العلاقة بين المواقف وتوزيع العناصر اللغوية ، ولذلك يجب أن يفهم على أنه علاقة سياقية • إنه يسوى بين المعنى meaning والوظيفة function فكلاهما استعمال صيغة لغوية فى علاقة سياقية، أو هما مركب من العلاقات السياقية a complex of contextual relations ، وهو بذلك مصطلح جامع لكل الوظائف التركيبية التى تقوم بها اللغة، وهو بهذا يتجنب كل التفسيرات العقلية ، وما يتصل بها من مفاهيم كاللغة والفكر ، والدال والمدلول ، واللفظ والمعنى.[1] ومن هنا كان مفهوم المعنى بوصفه وظيفة فى السياق يمثل وجهة نظر فيرث الأساسية للغة ، وقد عبر عن ذلك فى بحث كتبه سنة ١٩٣٥ قائلا : " علم اللغة كله دراسة للمعنى ، والمعنى كله وظيفة فى السياق".[2] ولهذا وصف مثال سابير : قتل الفلاح فرخ البط The farmer killed the duckling بأنه " هراء " لأنه عجز عن تصور سياق مناسب قيل فيه.[3]لقد كان المعنى عند فيرث حجر الزاوية فى النظرية النحوية ، وكان يرى أنَّ عمل اللغوى ينبغى أن ينصب كله على المعنى ، ولهذا لم يكن يرى سبباً لتخصيص مستوى من مستويات الدرس لعلم الدلالة.[1]

---

(1)Helbig, G. (1981) S.111.
- De Beaugrande, R. (1991) P.203

- كمال بشر : التفكير اللغوى ص ١٣٤.

(2)Hallidan, M.A.K. & Hasan, R. (1985) P.8.

(3) Firth, J.R. (1957) P. 24

من مستويات الدرس لعلم الدلالة.(١)

وقد ووجه فيرث ، وهو يسعى إلى تطوير منـــهج للبحــث يمـدّ الباحث بوصف متماسك للغة ، ببعض المشكلات ، لعل أهمها(٢):

١ - إذا كان معنى العناصر اللغوية يعتمد على السياق الثقـــافى culture context فإننا فى حاجة إلى تأسيس عـــدد مــن الفصائل تربط المادة اللغوية بالسياق الثقافى.

٢ - ينبغى أن يكون تحديد المعنى بأنه وظيفة فى السياق قائمـــاً على أساس شكلى formal حتى يكون مبدأ يصح العمل بــه على امتداد النظرية.

٣ - ينبغى أن تضمن النظرية اطراد الوصف ، وعليها أن تتيـح للباحث عقد صله بين وظائف الوحدات الصغرى فى السياق ووظائف الوحدات الكبرى.

وقد حاول فيرث أن يحلّ هذه المشكلات بصياغة مفهوم الجـــدول paradigm الذى يضم أنماط الصيغ التى تكون عليها الكلمـــــات فـــى النظام النحوى ، ومفهوم الضميمـــة syntagm التـــى تـتركب مـــن عنصرين أو عـــدد من العناصر اللغويـــة لها معنى تركيبى ، فضــــلاً

---

(1) Kress, G. (1976) P. xiv

(2) Ibid, P. xi.

عن مفهوم التركيب structure . [١]

وقد لفت فيرث إلى أنّ كثيراً من اللغويين قد يتفقون على الطرائق التى تستخدم فى وصف البنية الظاهرة للغة ، لكنهم لا يتفقون أبداً على وصف الوحدات الثقافية والاجتماعية ، وهذا يعنى أنه لا اللغويون ولا علماء الاجتماع حاولوا الربط بين وصف الوحدات اللغوية ووصف الوحدات الثقافية والاجتماعية ، وتأسيس الفصائل التى يتحقق بها هذا الربط • وكان قد أحس بهذه المشكلة فى مرحلة مبكرة من حياته العلمية ، وألمح إليها إلماحاً فى بحثه المهم: تقنية علم الدلالة Technique of semantics سنة ١٩٣٥ ، وظل يفكر فى حلّ لها حتى وضع الإطار الذى أشرنا إليه لوصف سياق الحال. [٢]

لقد كان الربط بين اللغة والسياقين الثقافى والاجتماعى اللذين تستخدم فيهما اللغة مستحيلا فى نظره إلا إذا رأينا السلوك اللغوى شكلاً من أشكال السلوك الاجتماعى ، من ثم فإن كل النظريات الشكلية التى ترى اللغة نظاما ذاتيا مستقلا self contained system عاجزة فى نظره عن القيام بهذه المهمة. [٣]

وعلى الرغم مما قدمه فيرث من تطوير للبحث اللغوى تمثل فى جانبين لا يزالان يرتبطان باسمه حتى الآن هما النظرية السياقية

---

(1)Ibid, xi

(2)Ibid , xii

(3)Ibid , xii f .

للمعنى، والتحليل التطريزى[1] فقد تعرضت نظريته اللغوية للتجاهل والنقد ، إذ تجاهلها اللغويون فى الولايات المتحدة الأمريكية خاصة تجاهلاً كبيراً ، بالرغم من أنهم أفادوا من بعض جوانبها إفادة محققة ، ويكفى أنهم اخترعوا التحليل التطريزى من جديد واضعين له مصطلح الفونولوجيا القطعية الذاتية autosegmental phonology من دون إشارة إلى مصدرها الأصلى وهو فيرث[2]

وقد أخذ الباحثون على فيرث مأخذين جوهريين:[3]

أحدهما : أن فيرث لم يقدم نظرية متكاملة ، ولم يشرح أفكاره شرحاً منظما واضحاً ؛ فمعالجته النظرية لا تظهر إطلاقا فى نموذج متكامل ، بل هى مسائل معزولة، لا تظهر الروابط الجامعة بينها ، ولا العلاقة التى تحكمها.

الثانى: أن فيرث لم يقدم منظومة من المصطلحات أو الفصائل تتحدد بها جوانب نظريته ، بل إنه لم يحدد مصطلح " الوظيفة فى السياق " الذى أخذه عن مالينوفسكى ، فلم يبين السياقات التى تستخدم فيها العناصر اللغوية ، ولا كيف يكون كل منها ذا صلة بالآخر.

---

(1)Lyons , J . (1966) P . 288

(٢)جفرى سامسون : مدارس اللسانيات ص ٢٧٧

- Butler , Ch . S . (1985) P . 12 f

(3) Kress, G. (1976) P. XV.

وكان أكثر ما وجه إليه من نقد بعد ذلك منصبا على مفهومه للمعنى . وقد أفرد ليونز بحثا جعل عنوانه : نظرية المعنى عند فيرث ، نشره سنة ١٩٦٦ وقدم فيه نقداً مفصلاً لهذا المفهوم عند فيرث. (١)ويبدو أنّ أهداف فيرث من البحث الدلالى تختلف اختلافاً بيناً عن أهداف البحث الدلالى عند ليونز ، ولا أدل على ذلك من أنّ ليونز حاول فى مؤلفاته الخاصة بعلم الدلالة البنيوى تجنب بحث التنوعات السياقية مع تسليمه بأهميتها ، أما فيرث فكان الهدف الأساسى عنده هو بحث العلاقة بين اللغة والسياق الذى تستخدم فيه. ومن المؤكد أن نظرية فيرث لفتت الأنظار إلى أثر العلاقات الأفقية syntagmatic relations فى المعنى، وبخاصة فيما يتصل بالتلازم collocation على نحو لم يستطع الباحثون فى علم الدلالة البنيوى القيام به. (٢)

على أن التقدير المتوازن لعمل فيرث يقتضى أن نميز كثيراً من أفكاره على أنها ردّ فعل للاتجاه ذى النظام الواحد عند السوسيريين ، وبعض النظريات التى تقصى المعنى عند البنويين الأمريكيين ، لكننا فى الوقت نفسه لابدَّ أن نسلم بما شاب عمل فيرث من فقدان الوضوح والتماسك. (٣) ومن ثم كانت الحاجة ماسة إلى وضع إطار نظرى واضح ومتماسك لأفكار فيرث ، فعزم واحد من أنجب تلاميذه هو هاليداي على أن يقوم بما لم يقم به فيرث ، فشرع فى نشر أبحاث متتابعة منذ سنة ١٩٦١ حاول أن يقدم فيها إطاراً واضحاً ومتماسكا لنظرية فى التحليل

---

(1)Lyons, J. (1966) P. 288 ff

(2)Butler. Ch.s (1985) P 10

(3)Malmkjær. k (1991) P 385

اللغوى تقوم على أفكـــار فيرث كما فهمها عنه ،[1] ثـــم تطويرهـــــا والبناء عليها ، ومازال بها حتى أصبحت نظرية خاصة به كما يتضـــح ذلك إن شاء الله فى الباب الثانى من هذا البحث •

ولعلّ أهم ما أفاده هاليداي من فيرث ومالينوفســكى ، واســتثمرهُ فى وضع نظرية لغوية محكمة مايأتى :

١ - استثمر هاليداي ما قام به فيرث من تهيئة المكونات اللغويـة linguistic components لتتـــلاءم مـــع المكونـــــات الاجتماعية والثقافية ، فأفاد على وجـــه الخصـــوص مـــن مفهومين أساسيين هما : سياق الحال ، والنظام.[2] وقد طور هاليداي المفهوم الأول وأحكمه ، وجعل الثـــانى الفصيلـــة الأساسية فى نظريته اللغوية ، بل توصف به النظرية كلـــها كما سيأتى.

٢ - تبى هاليداى وجه نظر فيرث التى تقوم على تعدد الأنظمـــة polysytematicism لتفسير تشعب الظاهرة اللغوية •

٣ – أفاد هاليداي مما قدمه فيرث عن التلازم collocation فـــى تصوره للمعجم lexis، [3] ومما قدمه فيرث عـــن التـــوارد colligation فى تصوره عن النظام وشبكات الأنظمة •

(1)Robins, R.H. (1980) P. 282

(2)Kress, G. (1976) P.xiv

(3)Ibid P. xiv.

٤ – تبنى هاليداي مفهـوم كل من مالينوفسـكى وفـيرث عـن "المعنى وظيفة فى السياق " فرأى أن المعنى هو الوظيفـة والوظيفة هى الاستخدام ، فاستخدامنا اللغة هو معناها.

٥ – أفاد من الوظائف التى حددها مالينوفسكى للغة ، وثمة صلـة نسب وثيقة بين وظائف اللغة عند مالينوفسـكى ووظـائف اللغة عند هاليداي(١)

٦ – أفاد هاليداى من أفكار مالينوفسكى عن أثر التاريخ العرقـى فى التطور اللغوى ، فقد كان مالينوفسكى يـرى أن اللغـة تتطور استجابة لحاجات المجتمع الذى يستخدم اللغة ، وقـد استثمر هاليداى ذلك فى دراسته للغة الطفل فرأى أن دراسة لغة الطفل تعيننا على إدراك المراحل التى تطـورت فيـها اللغة ذاتها ، فإذا كنا لا نملك عينات حية من هذه المراحـل التاريخية للتطور اللغوى فإننا نستطيع أن نجد شاهداً عليـها من دراستنا للغة الطفل وكيفية استعماله لها. (٢)

٧ – يلتقى هاليداى مع مالينوفسكى وفيرث فى أنّ اللغة ينبغـى أن تدرس بوصفها ظاهرة اجتماعية ، والكشـف عـن أنمـاط العلاقات بين النظام اللغوى والتركيب الاجتماعى والثقـافى لمستخدميها هو أهـم ما ينبغى أن يعنى بـه الباحثون فـى اللغة.

---

(١)انظر الفصل الذى كتبه هاليداي عن وظائف اللغة فى
- Halliday, M.A.K. & Hasan, R. (1991)P. 15-28.
(2)De Beaugrande, R (1991) P. 226.

ولعلّ مما يلفت النظر أن هاليداي لم يستثمر ما قدمه فيرث عـــن التحليل التطريزى الذى يعده أنصار فيرث ومعارضوه أهمّ إنجازا له.[1]

على أنَّ هاليداى لم يقتصر على ما أفاده من مالينوفسكى وفيرث ،، بل ضمَّ إليهما وورف ، وهلمسلف ، ومدرسة براغ.

ويعدّ بنيامين لى وورف B.L . Whorf (١٨٩٧ــ١٩٤١) أحـــد المصادر الأساسية التى استقى منها هاليداي الأفكار التى أقـــام عليـــها نظريته اللغويـــة[2]وكان وورف ، وهـــو تلميذ لإدوارد ســـــابير . E Sapir (١٨٨٤ ــ ١٩٣٩) ، لغويـــا نابهـــاً ثاقـــــب الفـــهم للغـــة ، استطاع مـــن خلال دراساتـــه الميدانيـــة للغات الهندية أن يطور أفكار أســـتاذه ، وأن يضع فرضيـــة عرفت باســـمهما معـــاً Sapir- Worf hypothesis وإن كان لوورف النصيب الأوفى منهـــا حتى إن بعـــض البـــاحثين يكتفـــى بـــأن يطلـــق عليـــها فرضيـــة وورف Whorfian hypothesis [3]

وهذه الفرضية تقوم على أساسيين جوهريين :[4]

أحدهما : يسمى الحتمية اللغويـــة linguistic determinism ،

---

(1)Kress, G. (1976) P.xv

(2)Ibid, P. viii.

(3) MacArthur, T.C (1996): The Oxford companion to the English Language. Oxford University Press P.804.

(٤) محيى الدين محسب (١٩٩٨) اللغة والفكر والعالم. دراســـة فـــى النســـبية اللغويـــة الفرضية والتحقق – لونجمان ص ٢٩.

وهى تعنى أنَّ اللغة هى التى تتحكم فى تفكيرنـــا كلـــه ، وتهيمن على رؤيتنـــا للعالم ، وتحـــدد طريقـــة إدراكنـــا وسلوكنا من دون وعى منـــا، فالتجربة الإنسانية تتكـــون فيما يرى وفق النسق اللغوى المستعمل فى مجتمع بعينـه ، واللغة عنده تصنيف وترتيب لجوانب هذه التجربة ، فـــإذا أردت أن تستخلص نمطا ثقافيا فى مجتمع مـــا فعليـــك أن تراقب السلـــوك اللغـــوى فيه • من هنا فإن اللغـــة هـــى التى تحدد الفكر ، أو هى الفكر ذاته •

ثانيهما : يسمى النسبية اللغويـــة linguistic relativity ، وهى تعنى أن لكل لغة خصائصها التى تتميز بها عن غيرها ، وهذه الخصائص تنتج خصائص ثقافية تمـيز كل مجتمع عن غيره • مـــن هنا ظهرت الاختلافـات واضحـــة بين اللغات فى تجسيدها لعلاقـــة الانســان بالعالم ، فاختلاف الأنظمة اللغوية بين لغة وأخـــرى يؤدى إلـــى إنتـــاج أنمـــاط مختلفـــة مـــن الإدراك ، فاختلاف الأنظمة اللغويـــة بين اللغات ليـــس أمـــراً شكليا يتعلق ببنية النظام اللغـــوى فـــى كل منها ، بل هو فى الحق اختلاف أنظمة ذهنية • من ثـــم كـــان يرى القول بوجود عالميات لغوية زعماً لا سند لها.

وقد كان وورف معنيا بدلالة اللغة ، وكان يرى أن علـــم اللغـــة مهمته الأساسية هى المعنى ، ولعلّ اهتمامه بالمعنى هو الذى نبهه إلـــى

الاختلافات الواضحة بين اللغات فى تجسيدها لعلاقة الإنسان بالعالم المحيط به.[1]

وكان من أهم العناصر التى اشتملت عليها فرضيته ، واستثمرها هاليداي فى وضع نظريته اللغوية ما يأتى:[2]

١ - موقفه من العلاقة بين اللغة والثقافة الذى يتمثل فى أن نمط الثقافة عنده مشروط بنمط اللغة •

٢ - نظرته إلى اللغة بوصفها تجسيداً لنظام تصورى conceptual system وما استتبع ذلك من اهتمام بالتمييز بين الصريح أو الظاهر overt والضمنى أو الباطن covert، فالأول ما له ظهور على السطح كفصيلة الجمع مثلاً والثانى ما ليس له ظهور كالسمة حىّ animate •

٣ - محاولته الواضحة وصف الفصائل اللغوية التى نحتاج إليها فى دراسة ما يسمى بالنحو الباطن deep grammar فى لغة من اللغات •

وأما هيلمسلف Hjelmslev (١٨٩٩ - ١٩٦٥) ، فقد أسس فى الدنمارك هو وبروندال Brondal مدرسة كوبنهاجن عام ١٩٣٣ ، وقد عرفت منذ عام ١٩٣٤ بدائرة كوبنهاجن لعلم اللغة Copenhagen

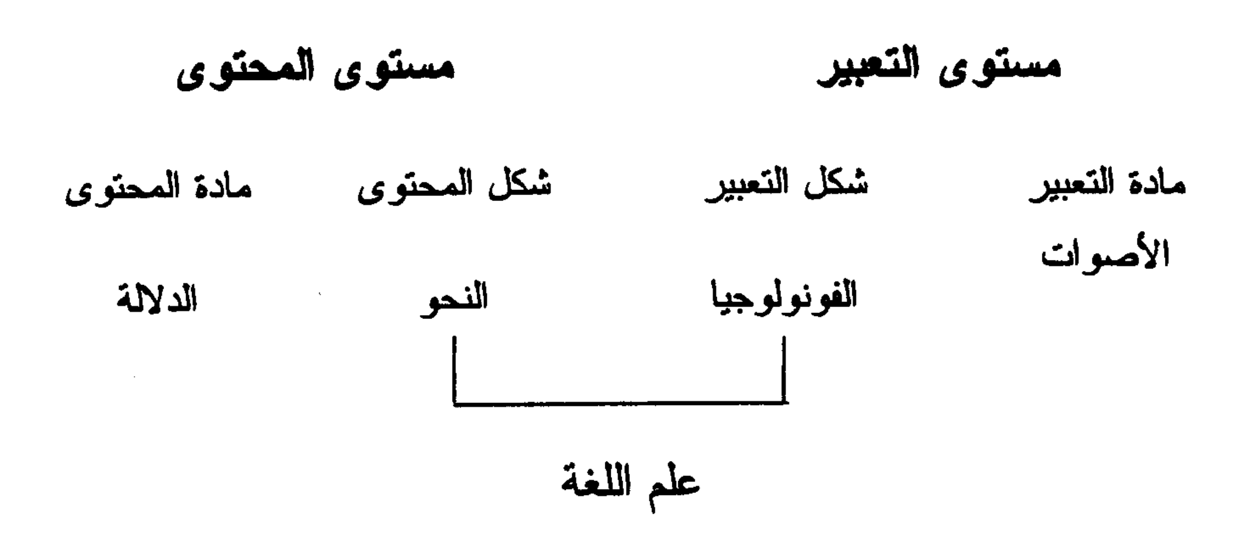
---

(١) السابق ص ٢٧-٢٨.

(2)Kress G. (1976) P.x

Circle of Linguistics ، واكتسبت أهمية عالمية بإصدارها منذ عـــام ١٩٣٩ مجلـــة Acta Lnguistica التى حملت عنوانـــاً فرعيا هـــو : المجلـــة الدولية لعلم اللغـــة البنيـــوى International Review of Structural Linguistics • لكن بروندال لم يلبث أن توفى بعد نحـــو ثلاث سنوات فانفرد هيلمسلف بقيادة المدرسة. (١)

وتقوم دراسة اللغة فى هذه المدرسة على مستويين أحدهما يســمى خطة المحتوى content plan والآخر يطلقون عليـــه خطـــة التعبـــير expression plan وفى إطار هذين المستويين فرق هيلمســـلف بيـــن الشكل form والمادة substance فنتج عن ذلـــك أربعـــة مســتويات يوضحها التخطيط الآتى :



(١)ميلكا إفيتش : اتجاهات البحث اللسانى ص ٣١٧ ــ ٣١٨

فمادة التعبير عنده هى المادة الصوتية ، وهى متماثلة فى كل اللغات ، وشكل التعبير هو النظام الفونولوجى الخاص بكل لغة • ومادة المحتوى هى وقائع العالم الخارجى ومظاهره وهى متماثلة فى كل اللغات ، وشكل المحتوى هو النحو الذى يقوم بتنظيم المادة وترتيبها وتحديد العلاقات بينها فى كل لغة•[١]

وقد أطلق هيلمسلف على نظريته اللغوية اسم المنظومية Glossematics وهى تقوم عنده على مستويين اثنين فحسب هما شكل التعبير وشكل المحتوى ، فهى لا تعنى بمادة التعبير وهى الأصوات، بل تعنى بشكله وهو الفونولوجيا، وهى لا تعنى بمادة المحتوى وهى الدلالة، بل بشكل المحتوى وهو النحو • والعلاقة بين شكل التعبير وشكل المعنى تنشأ من خلال قانون الإحلال commutation ، وهو يتحقق حين يطابق تغيير فى شكل التعبير تغييراً فى شكل المحتوى. ولا ينتمى إلى علم اللغة الحق عند هيلمسلف و أصحابه إلا الفونولوجيا والنحو وعلاقة كل منهما بالآخر • أما علم الأصوات وعلم الدلالة فلا يعدوان أن يكونا علمين مساعدين للعلمين المهتمين بتراكيب اللغة.[١]

ويُعنَى هيلمسلف بالنظام system الذى يشمل عنده التركيب والوظيفة معاً ، ويرى أنه ليس من الممكن تحديد علاقة لغوية إلا على أساس من علاقاتها بالعلامات اللغوية الأخرى ، أى على أساس موقعها من النظام • من أجل ذلك سميت هذه النظرية أيضاً النظامية

(1) Helbig , G – (1981) S . 60 f .
(1) ebenda , S . 61.

.systemology [١]

وقد أفاد هاليداي إفادة محققة من منظومية هيلمسلف أو نظاميتـــه بخاصة فيما يتعلق بمفاهيم المادة ، والشكل ، والنظام ، والعلاقـــة بيـــن العلامات اللغوية فضلاً عن تصوره لعلم اللغة ، وقد نظر فى كل ذلـــك وأفاد منه فى وضع نظريته وبخاصة فى مرحلتها الأولى كما سيأتى .

وتعدُّ مدرسة براغ من المصادر التى أفاد منـــها هـــاليداي فـــى نظريته اللغوية[٢]وقد تميزت هذه المدرسة بأمور نذكر منها ما كان لــــه أثر فى نظرية هاليداي اللغوية.

الأول : الاتجاه الوظيفى فى دراسة اللغة : فقد حلّل أصحاب هـــذه المدرسة اللغة بهدف إبراز الوظـــائف التـــى تقـــوم بـــها مكوناتها البنوية المختلفة فى الاستعمال. على أنـــهم فـــى تحليلهم لم يقتصروا على الوصف المجرد ، بل تجـــاوزوه إلى التفسير ، وقد ميز هذا الاتجاه مدرسة بـــراغ تمييـــزاً حاداً عن البنيوية الأمريكية والتشومسكية. [٣] لقـــد نظـــر علماء مدرسة براغ إلى اللغة كما ينظـــر المـــرء إلـــى " محرك " محاولاً أن يتفهم الوظائف التى تؤديـــها أجـــزاؤه المختلفة، وكيف تحدد وظيفة جزء معين وظيفة الأجـــزاء

---

(1) ebenda , S . 63.

(2)Butler , Ch . S. (1985) P . 4

(٣) جفرى سامسون : مدارس اللسانيات ص ١٠٥ ـــ ١٠٦.

الأخرى.[1] وقد انبثقت هذه النظرة الوظيفية عندهم من الاهتمام بالجانب العملى من اللغة . وكان من أهم ما تمخضت عنه النظرة الوظيفية عندهم دراستهم للجملة من وجهة وظيفية functional Sentence Perspective.[2] وقد رأوا أن توظيف الرموز الكلامية مرتبط بثلاثة مكونات للموقف الكلامى: المتكلم والسامع والأشياء وتتنوع رموز الكلام تبعاً لتنوع هذه المكونات ، وكل تنوع ينتج وظيفة من مكونات اللغة ؛ فتنوع الرمز مع المتكلم ينتج الوظيفة التعبيرية expressive ، ومع السامع ينتج وظيفة المناشدة apeal function ، ومع الأشياء ينتج الوظيفية الاتصالية communicative ، ثم الوظيفة الجمالية التى أولاها البراغيون ما تستحق من اهتمام فى حين أهملها اللغويون الأمريكيون، وهى تبرز حين يكون استعمال اللغة موضع اهتمام لذاته لا للوظيفة العملية التى يقوم بها.[3] من هنا كانت اللغة تشمل عندهم المظهر العقلى للشخصية الإنسانية ، كما تشمل المظهر العاطفى.[4]

---

(١) السابق ص ١٠٦.

(٢) أحمد مختار عمر : مدرسة براغ اللغوية، فى: مجلة كلية الآداب والتربية، جامعة الكويت عـ يونيه ١٩٧٧، ص٢٢.

(٣) السابق نفسه ص ٢٢.

(٤)ميلكا إفيتش: اتجاهات البحث اللسانى ص ٢٤٩- أحمد مختار عمر (١٩٧٧) ص١٨.

الثانى : تبنى النظرة التركيبية فى دراسة اللغة وتحليلها: فهم يرون أنَّ كل عنصر فى نظام معين تتحدد صفته بالنظر إلى كل العناصر الأخرى فى داخل النظام ، ولا قيمة له إذا أفرد وحده ؛ إنه عندئذ لا يقبل تصنيفاً ولا تحديدا.[١] وقد قادهم اهتمامهم بدراسة اكتساب الطفل اللغة إلى أن الظواهر اللغوية تجرى على نظام، فالأطفال يكتسبون الصوائت الانفجارية قبل الاحتكاكية ، ويميزون الصوائت الأمامية المنبسطة قبل الصوائت الأمامية المستديرة ... الخ.[٢] وهم لا ينظرون إلى اللغة على أنها نظام أحادى unitary ، بل على أنها متعددة النظم فى حين كان الوصفيون الأمريكيون يصرون على أنها نظام أحادى.[٣]

الثالث : البعد عن الإغراق فى التجريد كما فعل أصحاب المنظومية ، ولم يقتصروا على الوصف الشكلى المجرد دون إشارة إلى المعنى كما فعل بلومفيلد وأصحابه،[٤] فاللغة عندهم ظاهرة طبيعية محكومة بعوامل غير لغوية مثل المحيط الاجتماعى والسامعين والموضوع ، ولهذا ميزوا بين التنوعات اللغوية كلغة الصحف اليومية ، ولغة

---

(١) أحمد مختار عمر (١٩٧٧) ص ٢٣

(٢)جفرى سامسون : مدارس اللسانيات ص١٢٦

(٣) السابق ص ١٣٠

(٤) أحمد مختار عمر (١٩٧٧) ص ٢٤

الأعمال الأدبية ، ولغة الشارع ... الخ. كما درسوا دور اللغة فى التباين الاجتماعى فى إطار ما يسمى الوظيفة الاجتماعية للغة.[1]

الرابع : القول بأن اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة لا تتطابقان ، بل لكل منهما خصائصه المميزة ، ولا بدّ من فحص العلاقة بينهما.[2]

الخامس : الاعتقاد بأن التقابلات الفارقة مؤسسة على مبدأ الثنائية binary أو الازدواجية dichotomy ، فالوحدات اللغوية تقع فى تقابلات ذات جهتين إذا وجدت فى إحداهما خاصية فارقة غابت عن الأخرى كما فى /t/ و /d/ مثلاً.[3]

تلك كانت أهم المصادر التى أفاد منها هاليداي ، وهى إفادة تملك لا إفادة نقل ، إذ خلط كل ذلك بفكره وتصوره ، ثم أخرجه للناس خلقاً آخر يتمثل فى نظرية لغوية محكمة أصبحت تنسب إليه.

---

(١) السابق ص ١٨ ـ ميلكا إفيتش : اتجاهات البحث اللسانى ص ٢٤٨

(٢) ميلكا إفيتش : اتجاهات البحث اللسانى ص ٢٤٩

(٣)جفرى سامسون : مدارس اللسانيات ص ١١٠ ـ ١١١ .

الفصل الثاني

الأسس المنهجية



على الرغم من أن نظرية هاليداي اللغوية مرت بمراحل ثلاث من التطور فقد ظلت لها ثوابتها ، وهى ثوابت بعضها يتفق مع ثوابت نظريات أخرى معاصرة ، وبعضها يختلف عن هذه النظريات. وغني عن البيان أن ما تختلف به هذه النظرية عن غيرها هو الذى يميزها ، ويجعل لها شخصيتها التى تعرف بها ، وسماتها التى تتحدد بها. وسوف أعرض فى هذا الفصل إن شاء الله عرضا موجزا لما تتفق فيه هذه النظرية مع غيرها ، ثم أفصل الحديث فى الأسس المنهجية التى تمتاز بها عن غيرها .

أولاً ثوابت الاتفاق :

استطاعت مارجريت بري – وهى من أكثر الباحثين استيعاباً لهذه النظرية وقدرة على إيضاح جوانبها – أن تحدد الثوابت المنهجية التى يتفق فيها علم اللغة النظامى مع غيره من النظريات اللغوية المعاصرة بما يأتى:[1]

١ – يتفق علم اللغة النظامى مع غيره من المدارس اللغوية المعاصرة فى المسائل اللغوية العامة كدراسة اللغات الطبيعية ، وماهية اللغة ، وكيفية عملها ، والاهتمام بوصف لغات بأعيانها والمقابلة بينها ، ودراسة التنوعات اللغوية varaieties (أى تفرغ اللغة إلى لهجات ، ودراسة لهجة منها أو لغوة (= لهجة

(1) Berry, M. (1975): An Introduction to Systemic Linguistics I Structures and Systems. B.T. Bastford London and Sydney.P.21 ff.

محلية) أو لغة طائفة اجتماعية معينة ، فضلاً عن الاهتمام بالتطبيق فى مجالات متعددة.

٢ – علم اللغة النظامى كغيره من المدارس اللغوية المعاصرة يتبنى الاتجاه الوصفى discriptive فى مقابل الاتجاه المعيارى prescriptive.

٣ – علم اللغة النظامى كغيره من المدارس اللغوية المعاصرة على أن ثمة مناهج متعددة لدراسة اللغة ، وأن المنهج الذى ينتهجه ليس المنهج الممكن الوحيد ، فهو يقدم رؤية لدراسة اللغة لا تلغى أية رؤية غيرها ، أو تقلل من شأنها .

٤ – علم اللغة النظامى كغيره من المدارس اللغوية المعاصرة يتصف بالتبصُّر insightfullnis والتماسك coherence ، والثبات consistancy والوضوح explicitness .

٥ – علم اللغة النظامى كغيره من المدارس اللغوية المعاصرة يرى أن دراسة اللغة يجب أن تكون مستقلة autonomous على الرغم من ارتباطها بعلوم أخرى كعلم النفس ، والاجتماع ، والأنثروبولوجى، والنقد الأدبى ... الخ. وأنه لابدّ من وضع نموذج Model يمثل الإطار النظرى للبحث عندهم ، ويضعون مصطلحاته ويحددون مفاهيمه، ويجتهدون فى الوصول إلى تحقيق موضوعى لفروضهم.

ولعل أقرب المدارس المعاصرة إلى علم اللغة النظامى النحو الطبقاتى (= التنضيدى) stratificational grammar (لامب ١٩٦٦) والقالبية tagmemics (بايك ١٩٦٧) • ولعلّ أبعدها عنه النحو التحويلى التوليدى[١] على الرغم من أنّ ثمة محاولات بذلت للتقريب بينهما ، فقد حاول هدسون Hudson (فى السنوات ١٩٧١ ، ١٩٧٤ ، ١٩٧٦) أن يقرب النحو النظامى من النحو التوليدى، كما أن هناك تشابها ملحوظاً بين النحو النظامى وبعض نماذج النحو التحويلى التوليدى (كما فى نموذج فلمور Fillmore, 1968). [٢]

وأما ما يتميز به علم اللغة النظامى من أسس منهجية يختلف بها عن غيره فقد أوضح بعضها هاليدى نفسه فى مواضع متعددة من أبحاثه، وأشار بعض الباحثين إلى بعض آخر، ويمكننا أن نجمعها ونحددها على النحو الآتى:

أولاً دراسة اللغة من وجهة نظر سيمية اجتماعية social – semiotic:

ذكرهاليداي نفسه أنّ دراسة اللغة من هذه الوجهة تعدّ ملمحاً خاصًّا من تفكيره منذ أصبح مهتما بدراسة اللغة[٣] وأخذ يشرح المقصود

---

(1)Ibid , P22 .

(2)Ibid , P22.
Malmkjær , K . : Systemic Grammar , in : Malmkjær, K(ed.) 1991 The Linguistics Encyclopedia . London and New york – P . 451.

(3)Halliday , M . A . K & Hasan , R . (1990) P . 3.

بالدراسة السيمية الاجتماعية.[1] فبدأ بإيضاح المفهوم سيمي semiotic فذكر أنه أخذ فى البداية من مفهوم العلامة Sign و أن الكلمة الحديثة ترجع إلى المصطلحين semainomenon و semainon (الدال والمدلول signifier signified) اللذين استخدما فى الدراسات اللغوية اليونانية القديمة. وقد كان الفلاسفة الرواقيون أول من طور نظرية للعلامة اللغوية فى القرنين الثالث والثانى قبل الميلاد ، وقد أحكم تصورهم هذا للعلامة اللغوية بعد نحو ألف سنة دى سوسير.

وذكر هاليداي أن السيمية أو علم العلامات يمكن أن يعرف بأنه الدراسة العامة للعلامات ، ونبه إلى أن هذا المفهوم أقرب إلى التصور التفتيتى atomistic؛ إذ كانت هناك نزعة إلى عد العلامة شيئاً معزولاً قائماً بذاته يدرس فى المقام الأول لذاته ومن أجل ذاته قبل أن يصبح ذا علاقة بعلامات أخرى ، حتى إننا نجد هذا التصور التفتيتى عند دى سوسير نفسه، على الرغم من تصوره الواضح للغة على أنها مجموعة من العلاقات set of relationships ولهذا رأى أن يعدل هذا التعريف لعلم العلامات ليصبح دراسة لأنظمة العلامات ، ودراسة أنظمة العلامات عنده هى دراسة للمعنى بمفهومه الأعم.

واللغة عنده جزء من علم العلامات قد تكون أشمل أو أعم من غيرها ، لكن ثمة صيغا أخرى كثيرة للمعنى فى أية ثقافة ، وهى صيغ تخرج عن نطاق اللغة كأشكال الفن من رسم ، ونحت وموسيقا ، ورقص ، وكذلك أشكال اللباس، وتركيب الأسرة، وهلم جرا ، إذ هى

---

(1)) Ibid , P . 3 f.

كلها حاملات لمعانٍ فى الثقافة. والثقافة عنده مجموعة من أنظمة العلامات semiotic systems بينها جميعا علاقات متبادلة. من هنا اتجه هاليداي إلى دراسة اللغة بوصفها نظاماً بين عدد من أنظمة المعنى التى تكون مجتمعة الثقافة البشرية human culture .

ثم ثنى هاليداي بإيضاح المصطلح " اجتماعى " [1] social ، فذكر أنه يستخدم استخدامين:

أحدهما : بمعنى النظام الاجتماعى الذى يعده مرادفاً للثقافة culture فإذا قيل : هذه دراسة سيمية اجتماعية بهذا المعنى كان المقصود الإشارة إلى نظام اجتماعى ، أو ثقافة ، بوصفه أو بوصفها نظاماً للمعنى system of meaning .

الثانى : أكثر تحديداً ؛ إذ يدل على وجه الخصوص على العلاقات بين اللغة والتركيب الاجتماعى. وقد نصّ على أنه حين يختار دراسة اللغة من الوجهة الاجتماعية لا ينبذ الاتجاهات الأخرى، ولا يقلل من شأنها. قال " الوجهة المفضلة لدراسة اللغة عند بعض علماء اللغة (مثل تشومسكى ١٩٥٧ ولامب ١٩٦٦) هى الوجهة النفسية، وقد تكون عند بعض آخر وجهة جمالية ، أو غير ذلك، لكن الوجهة التى نتبناها أساسا هى الوجهة الاجتماعية ". وهو يرى هذه الوجهة أوفق لما يهتم به من مسائل

---

(1)Ibid , P 4 .

وقضايا فى دراسة اللغة ، وبخاصة القضايا التعليمية ؛ إذ كان البعد الاجتماعى واحداً من الأبعاد التى تجوهلت فى المناقشات الخاصة بما يسمى " اللغة فى التعليم language in eduation " فالتعليم قبل كل شئ عملية اجتماعية تنقل اللغة فيها المعرفة عبر سياقات ومواقف اجتماعية. (١)

وقد كان من بين القضايا الأساسية التى اهتم بها هاليداي الوظائف الاجتماعية للغة، وكيف تقوم اللغة بها ، وكان يرى أننا إذا امتحنا المعانى الكامنة فى اللغة وجدناها تتضمن عدداً ضخماً من الإمكانات يمكن تجميعها فى شبكات من الاختيارات أقل عدداً ، وهذه الشبكات تنسجم مع الوظائف الأساسية للغة. (٢)

من هنا نظر إلى الوظيفة لا بوصفها مرادفاً للاستعمال كما رأى غيره من الباحثين مثل مالينوفسكى ، وبيولر ، وبريتون ، وموريس ، بل بوصفها خاصية جوهرية للغة نفسها ، وشيئاً أساسيا فى تطور نظامها الدلالى. (٣)

---

(1)Ibid , P 4 f

(2)Halliday , M . A . K : Language Structure and Language Function , in : Lyons , J. ((ed) 1975 : New Horizons in Linguistics . Penguin Books . P. 142

(3)Ibid , P 141

ووظائف اللغة عنده هـــى[١]

١ـ الوظيفة الفكرية : ideational :

وتتمثل فى التعبير عن المحتوى content ، أى خــــبرة المتكلـــم بعالم الواقع بما فيه العالم الداخلى inner world لوعيه conciousness الخاص.

٢ـ الوظيفة التبادلية : interpersonal function :

وهى الوظيفة التى تؤسس العلاقات الاجتماعية وتحافظ عليها مــن خـــلال ابتكارهـــــا أدواراً اجتماعيـــــة تشـــمل أدوار الاتصـــــال communication roles كالسائل والمجيب مثلاً ، ثم من خلال تبـــادل الخبرات والمنافع بين شخص وآخر.

٣ـ الوظيفة النصية textual function :

وهى التى تجعل المتكلم قادراً على بناء النصوص ، أو الربط بين أجزاء الخطاب الواحد بما تقدمه له من وسائل الربط وخصائص السياق الذى تستخدم اللغة فيه ، وهـــى التى تجعل السامع أو القارئ يميز نصا من مجموعة عشوائية من الجمل.

وقد عنى هاليداي ببيان كيف تؤثر هذه الوظائف فـــى تركيـــب الجملة الأساسية فى اللغة الإنجليزية.[٢]

---

(1)Ibid , P . 143

(2) Ibid . P . 145 ff.

ثانيا : النحو اختيار :

يقوم النحو عند هاليداي على مفهوم الاختيار ، فـــالمتكلم بلغـــة ما، مثله مثل من يقوم بأي نوع من أنواع السلوك الثقافى أو الاجتماعى ، يختار من بين إمكانات كثيرة تتيحها له الأعراف اللغوية والاجتماعيـة والثقافية السائدة فى مجتمعه.[1] فإذا أراد المتكلم بالإنجليزيـــة مثـــلاً أن يتحدث عن شخص أو أشخاص فقد يختار أن يتحدث عن فـــرد ، وقـــد يختار أن يتحدث عن جماعة ، ونحو الإنجليزية يمكنه من أن يختار بين المفرد والجمع ، وإذا اختار المفرد فقد يريد للحديث أن يكـــون عــــن شخص يتكلم الآن ، أو عن شخص يكلمه الآن، أو عـــن شخص ليـــس حاضراً وقت الكلام ، ونحو الإنجليزية يتيح له أن يختار بيـــن المتكلـــم والمخاطب والغائب ، وإذا أراد أن يخبر عن حدث وقع أو حدث يقــــع وقت التكلم أو حدث سيقع بعد المتكلم فنحو الإنجليزية يتيح له أن يختار بين الماضى والحاضر والمستقبل فى درجات متفاوتة مـــن القـــرب أو البعد، والاستمرار أو الانقطاع[2]... الخ.

ومن ثم يصبح وصف الجملة أو العبـــارة تحديـــداً للاختيـــارات التى قام بها المتكلم من مجموعة الاختيارات المتاحة له، وهو choices فى الوقت نفسه تحديد لعلاقة ما وقع عليه الاختيار بما لم يقـــع عليـــه الاختيار ، فاختيار جملة مثل : زيد ألقى الكرة له علاقة بجمل أخـــرى

(1)Hallidany , M . A . K . (1969) : A brief sketch of systemic grammar in : Kress , G. (ed) : Halliday : System and Function in Language . Oxford University Press 1976 P . 3

(2)Berry , M . (1975) vol . 1 P . 143 – 144

وثيقة الصلة بهذه الجملة لكن لم يقع عليها الاختيار مثل ألقى زيد الكرة، الكرة ألقى زيد ، الكرة ألقاها زيد، لا تلق الكرة يا زيد ، الكرة ألقيت... الخ.

فكل جملة منها تختلف عن الأخرى بالنظر إلى اختيارات محددة، ووصف الجملة لا يعدو أن يكون وصفا لاختيارات تمت فعلا. ففى جملة "ألقى زيد الكرة " يظهر أنَّ الصيغة الخبرية هى المختارة، وفى ذكر المفعول به دليل على أن تعدية الفعل إلى مفعول به اختيرت ...وهكذا. وكل عنصر من عناصر هذه الجملة يمثل اختياراً قام به المتكلم عند التخطيط لها. (١)

ويظهر فى الجملة السابقة أنَّ بعض الوظائف النحوية قد أدمج فى بعض، فقد أدمجت فى زيد وظيفتا الفاعل actor والمسند إليه subject، لكن هذا ليس أمرا لازما ، ففى قولنا " الكرة ألقيت " يظهر أن الكرة مسند إليه وليست فاعلا ، بل هى مفعول به فى المعنى goal ، والمتكلم هو الذى يختار أن يدمج وظيفتين فى عنصر لغوى واحد أو لا يدمجهما. (٢)

ثالثا : النحو شبكة من الأنظمة :

النظام system واحد من الأسس المنهجية المهمة التى تقوم عليها هذه النظرية، حتى إنها لتنسب إليه نظراً لما له من أهمية بالغة فى التصور الأساسى للتحليل النحوى. وقد لفت هاليداي إلى أن مصطلح

---

(1)Hallidany , M .A.K. (1969), in : Kress , G (1976) P . 4 f.

(2)Ibid , P . 6

نظامـــى systemic ينبغى ألا يلتبس بانتظامى systematic ، فـــالأول يستخدم للدلالة على أن التصور الأساسى للنحو يقوم على النظام، أمـــا الثانى فيستخدم فى علم اللغة غالباً بمفهومه العام المستخدم فى لغة الحياة اليومية وصفا لعلم الأصوات والفونولوجيا.(١)

والتحليل النحوى عند هاليداي يقوم على مجموعة مـــن الأنظمـــة تتضافـــر كلها مكونة شبكات من الأنظمة، وهـــذه الشبكات من الأنظمة هى اللغة ، فاللغة عنده هى نظام أنظمةsystem of systems.(٢)

والنظام شبكة من العلاقات تتمثل فى مجموعـــــة محـــددة مـــن الاختيارات يختار منها المتكلم عنـــد كـــل إنتـــاج كلامـــى(٣)، وهـــذه الاختيارات هى فى الأساس اختيارات معانٍ(٤) وأبرز سمة من ســـمات النظام هى أنه مغلق أى يتألف من عناصر محددة يحصرها العدّ ، وهذه هى السمة الفارقة بين النحو grammar والمعجم lexis ، فالنحو يقـــوم على الاختيار من نظام مغلق ، أما المعجم فيقوم على الاختيار من قائمة set مفتوحة. مـــن ثم فإن على النظرية اللغوية أن تعدّ كلا منهما نمطاً

---

(1) Ibid , P . 3

(2)Berry, M(1975) P . 31f

Crystal , D . (1994) : A Dictionary of Linguistics and Phonetics . B . Blackwell - p . 343

(3)Mindt, D. (1975) Sprachtheorie M.A.K . Hallidays , in : Moderne Linguistik. Düsseldorf . p. 146

(4)Richards, J . C . - platt , J . - platt , H (1992) Dictionary of Language Teaching & Applied Linguistics – Longman . p . 371

مختلفاً عن الآخر ، وأن تقدم لنا نظريتين اثنتيـــن : نظريـــة للنحـــو ، ونظرية للمعجم مع بيان العلاقة بينهما. (١)

على أن اللغة لا تتكون من أنظمة منفصل بعضهــا عن بعــض ، بل تتشابك وتتداخل مكونة شبكة من نظام أعم يفضى فيه بعض الأنظمة إلى بعض ولا بدّ من تحديد الموضع الذى يفضى فيه نظام إلى نظــلم أو ما يسمى نقطة الدخول point of entry ، ولا يدخل نظام إلى نظام إلا إذا تحقق له شرط الدخول entry condition. (٢)

واختيار عنصر ينتمى إلى نظام معين قد يتوقف علـــى اختيــار عنصر من نظام آخر ، ويكون ذلك بإحدى طريقتين : أولاهما أن تكون الاختيارات بعضها مستقل عـــن بعــض فالأنظمـــة عندئـــذ متزامنـــة simaltaneous والثانية أن تكون الاختيارات بعضها معتمد على بعض فتكون الأنظمة متراكبة أو متدرجة ierarchial ،(٣) وسيأتى بيان ذلك.

وشبكة الأنظمة غير محصورة ولا محدودة ، بل هى تتسع وتتعدل بما يضاف إليها من أنظمة إذا تحققت لها شرائط الدخول • مـــن هنـــا أمكن القول إن نحو أية لغة يتمثل فى شبكة كبرى من الأنظمة ترتـــب فيها الاختيارات ترتيبا تزامنيا أو تراكبيا.

---

(1)Halliday, M. A .K: (1964) : Discriptive Linguistics in Literary Studies (Duthie , A (ed) : English Studies Today : Third Series. Edinburgh University Press .P 22,35.

(2) Halliday , M.A.K.(1969) P . 3 f .

(3)Ibid P . 3

- Berry , M. (1975) vol. 1 P . 147

رابعا : العلاقة الوثقى بين اللغة والسياق :

من الأسس المنهجية التى يقوم عليها علم اللغة النظامى عند هاليداي العلاقة الوثقى بين اللغة والسياق. تقول مارجريت برى: " أشدّ ما يتمسك به اللغويون النظاميون منذ أيام علم اللغة الفيرثى ، مروراً بنحو المقياس والفصيلة ، حتى أحدث ما توصل إليه علم اللغة النظامى نفسه هو الاهتمام بالعلاقة بين اللغة والجوانب المتنوعة للسياق الذى تستخدم فيه ".(١) والسياق هو الذى يصف العلاقة بين الصيغ اللغوية والوقائع غير اللغوية ، أى يربط المعانى الوظيفية للعناصر اللغوية بالمعانى المقامية التى تلابس الحدث اللغوى. (٢)

وهذه العلاقة تؤدى بنوعين من المعانى : المعنى الشكلى formal والمعنى السياقى contextual ، فالمعنى الشكلى هو العلاقة بين العنصر والعناصر اللغوية الأخرى ، هو قدرته على التوارد مع عناصر أخرى والتقابل معها ، وما يمكن أن يتعاقب معه منها ومعنى المعنى بهذا المفهوم بعيد كل البعد عن الاستخدام المعتاد له. والمعنى السياقى هو نتاج الربط بين النص والموقف الذى يتجلى فيه أو يكبسل فيه أى بين نظام وظيفى للغة وبيئة اجتماعية وثقافية تحكم استخدامه. (٣)

---

(1)Berry , M. (1977) vol . 2 P . 133

(2)Halliday , M.A.K (1961): Categories of the theory of grammar , in: Kress,G.(ed) (1976):Halliday:System and Function in Langage . Oxford Universtiy press London P.53

- Mindt, D. (1975) S.140, 141

(3)Berry , M. (1977) vol . 2 P . 115

- Mindt , D. (1975) S . 147 f .

ولا يكفى فى تحديد السياق المعنى الشكلى وحده ، ولا المعنى السياقى وحده ، بل لا بدَّ معاً. ومن الأفضل عندهم البدء فى التحليل بالمعنى الشكلى ، ثم الوصول من بعده إلى المعنى السياقى ، فالمعنى السياقى يعتمد منطقيا على المعنى الشكلى ، بعبارة أخرى قبل أن نستطيع وصل اللغة بالموقف - كما كان يريد فيرث - من الضرورى أن نقدم وصفاً دقيقاً للأنظمة اللغوية،[1] وهذه الأنظمة شبكات من العلاقات تتألف منها وتحققها تراكيبها .

ويرى هاليداي أن اللغة لا تفهم إلا إذا كانت فى نصوص، والنصوص لا تفهم إلا إذا كانت فى سياقاتها الاجتماعية والثقافية، فهو من ثم يرى النص والسياق جانبين لعملية واحدة. فهناك نص، ونص آخر مصاحب له ، هذا النص المصاحب con – text هو السياق[2] وهو لا يمدنا - كما رأى مالينوفسكى من قبل - بمعلومات عما يحدث وقت التكلم فحسب ، بل بالخلفية الاجتماعية والثقافية لكل من المتكلم والسامع، أو التاريخ الاجتماعى والثقافى الكامن وراء حديث كل من المشاركين. [3]على أن السياق عنده ليس محيطا ماديا فحسب ، بل هو بنية سيمية semiotic structure عناصرها الأعراف الاجتماعية والقيم الثقافية المأخوذة من النظام السيمي الذى يكون الثقافة. [4]

---

(1) Halliaday, M.A.K. (1961) ,in Kress, G.(ed) 1976 P. 53.

(2) Halliaday, M.A.K. & Hasan, R. (1990) P . 5

(3) Ibid , P . 6f

(4) Kress , G. (ed) 1975 P . xxi

- Butler , Ch.S. (1985) P . 64

لقد قام هاليداي بتطوير مفهوم سياق الحال الذى قدمه كل من مالينوفسكى وفيرث، فقدم تصوراً رآه أكثر ملاءمة لنظريته، وهذا التصور يقوم عنده على مفهوم التنبؤ ، وهو كما يقول متصل بحقيقة شديدة الأهمية هى أنّ الناس بصفة عامة يفهم بعضهم بعضا برغم ما نلحظه فى أحايين كثيرة من إخفاق الاتصال الذى يعدّ مشكلة حقيقية فى المجتمعات المعاصرة يسعى المهتمون بالإعلام ووسائل الاتصال إلى حلها والحق أنه ينبغى أن ندهش من نجاح الاتصال لا من إخفاقه ، فما هو جدير بالملاحظة هو : كيف يفهم الناس بعضهم بعضا على الرغم مما يحيط بهم من ضوضاء ؟ ، وكيف نفسر نجاح الناس فى اتصال بعضهم ببعض؟[١]

ويذكر هاليداي أن الإجابة المختصرة عن ذلك فيما يرى أننا نعرف ما سوف يقوله الآخرون، إن لدينا دائما توقعا لما يمكن أن يقال، ولهذا نادرا ما نفاجأ مفاجأة تامة بما يقال، قد نفاجأ مفاجأة جزئية لكنها ستكون دائماً فى إطار ما نتوقع حدوثه ، وهذه هى أهم ظاهرة فى الاتصال البشرى. إننا نقوم بالتنبؤ دون وعى ، بطبيعة الحال ، وهذا هو الذى يجعلنا نفهم ما يقال. [٢]

ويرى هاليداي أن ما يهتم به اللغوى هو : كيف نقوم بهذا التنبؤ، والخطوة الأولى نحو الإجابة فى رأيه هو أننا نقوم بذلك من خلال سياق الحال . فالسياق الذى يحدث فيه التواصل اللغوى يعطى المشاركين قدراً

(1)Halliaday, M.A.K. & Hasan, R. (1990) P . 9

(2)Ibid . P . 9

كبيرا من المعلومات عن المعانى التى يتبادلونها ، وعن المعانى التـــى يمكن أن تتبادل • ونوع الوصف لسياق الحال الذى يلائم اللغوى هو ذلك النوع الذى يجعل السامع قادراً على التنبؤ بالمعانى واســتنباط الكيفيــة التى يتواصل بها الناس. (١)

وقد قدم هاليداي ثلاثة جوانب تحدد مجتمعةً سياق النـــص، هـــى التى تجعلنا قادرين على التنبؤ بما يقوله الآخـــرون، وهـــذه الجوانـــب هى:(٢)

١ـ المجال field :

والمقصود به موضوع النص ، أى ما يدور حوله الخطاب، أو ما يلتقى المشاركون من أجله مثل تسلق الجبال ، أو موسيقا الكـــورال، أو العناية بالحدائق، أو فسيولوجية الأعصاب، أو صيانة السيارات، أو كرة القدم ...الخ • على أن المراد بمجال الخطاب عنده هو المجال الأصلى، لا ما يتفرع إليه الحديث منه ، فمن الممكن فى مجـــال بيـــع الجرائـــد وشرائها أن نتحدث عن الطقس مثلاً ، لكن المجال الأصلى هـــو بيـــع الجرائد وشرائها •أما الحديث عن الطقـــس فـــهو يمثـــل جـــزءاً مـــن الاستراتيجية الخاصة بهذا المجال.

---

(1)Ibid , P . 10

(2) Halliday , M.A.K.(1978) P. 142 ff , 221 ff

- Halliday , M.A.K.(1990) P. 12 f.
- Butler, Ch..S.(1985) P. 64 f.

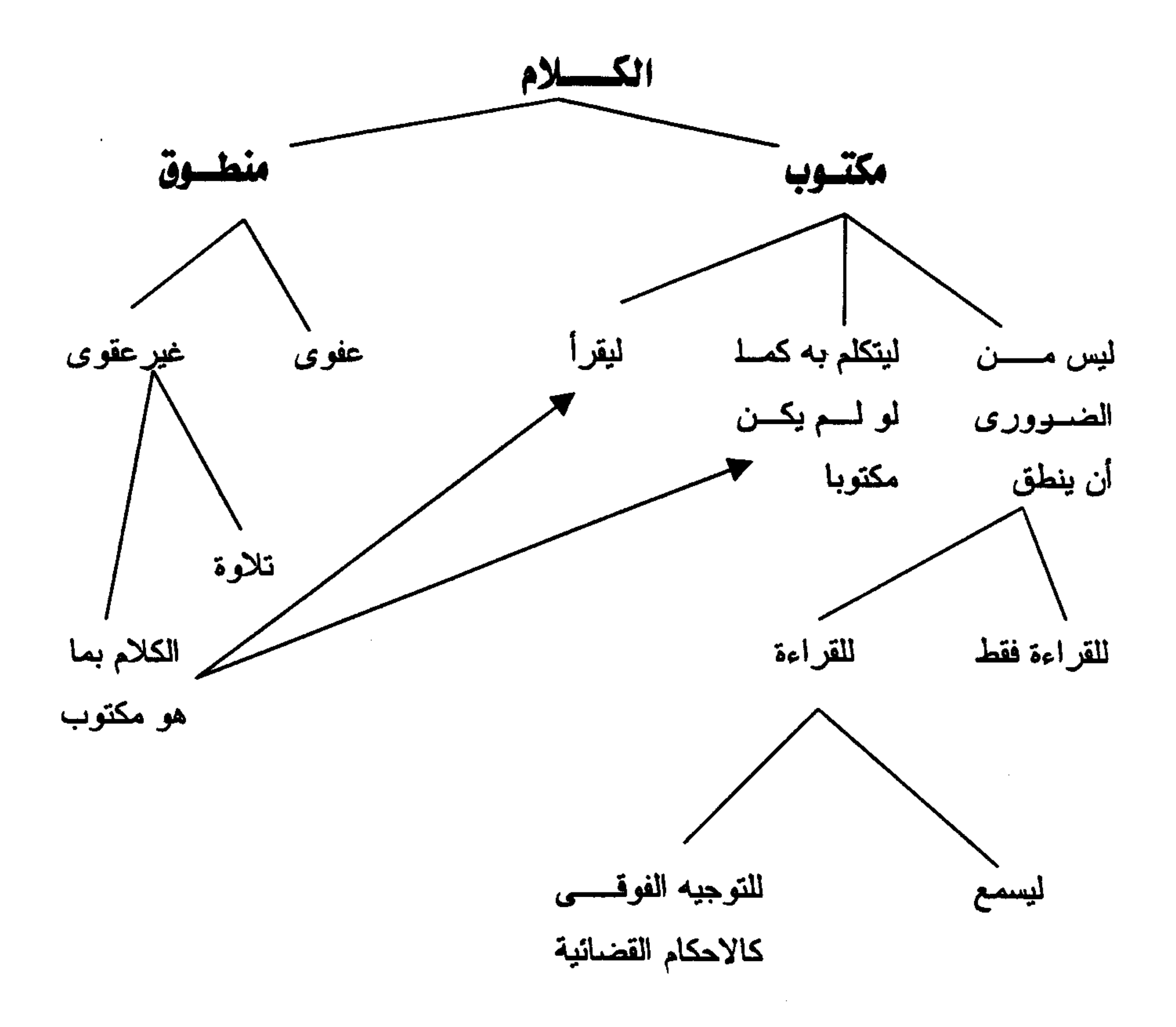
٢ـ **نوع المشاركة** tenor :

والمراد به طبيعة العلاقة بين المشاركين فى النص ، فقد تكـــون علاقة رسمية مثل علاقة المدير بالموظف ، أو المالك بالمستأجر ، وقد تكون علاقة حميمة كالعلاقة بين الصديقين أو بين الأم وأبنائـــها، وقــد تكون محايدة كحديث متجاورين فى قطار مثلاً ، ولكـــل مــن هـــذه العلاقات درجات.

٣ـ **الصيغة** : mode :

وهى الوسيلة ، أو قناة الاتصال ، التى يتحقق من خلالها النـــص أهى الكتابة أم النطق ، فالصيغة المنطوقة مثل المونولوج (= الحديـــث المنفرد)، أو الحوار dialogue ، والمكتوبة كـــالبحث المرجعـــى، أو المقال فى جريدة ، ولكن ثمة صيغاً تتمثل فيها خصـــائص المنطـــوق والمكتوب معاً مثل الخطبة المكتوبة لتلقـــى، ومثــل نشـــرة الأخبـــار، والمكتوب كما لو كان منطوقـــا كالحوار فى القصص، والمنطـــوق من مكتوب كقصص الأطفال ، والكلام بما هو مكتوب كما لو لم يكن مكتوباً مثل المسرحية. ويتضح ذلك من الشكل الآتى: (١)

(1)Morey, G. D. (1985) : An Intoduction to Systemic Grammar . Macmillam London P.5



ويدخل فى مفهوم الصيغة الدور المحدد الذى تسهم به الصيغة فيما يجرى فى مجال الخطاب، أهو الإقناع أم التهدئة أم البيع ، أم التحكـم أم الإيضاح، أم هو مجرد لغو يراد به فتح قنوات الاتصال بيـــن النـــاس كالذى أسمـــاه مالينوفسكى اتصال الــتودد phatic communication كالحديث عن الطقس بين متجاورين فى حديقة عامة أو مطار.[1]

---

(1) Halliday , M.A.K.(1978) P. 223

ويفترض هاليداي أننا إذا قارنا النصوص المختلفة فـــى المجــال field فإن أغلب الاختلافات المحتملة بينها سوف تركز علـــى أنمــاط العملية process والمشاركين ، والظروف ، شاملة التمــيز المعجمــى للموضوعات ذات الصلـــة، والأشخاص، على حين أننــــا إذا قارنـــا النصوص المختلفة فـــى نوع المشاركة ، فإن الاختلافــات فى المعنــى سوف تركز على أدوار الخطاب speech roles، وأساليب التخاطب، والتعبير عن المواقف معجميا وتنغيميا ، وغير ذلك مما يميز الأشخاص المشاركين بعضهم عن بعض ، وإذا قارنا النصـــوص المختلفـــة فـــى الصيغة ، فإن الاختلافات سوف تتمثل فى الموضوع theme، والتماسك cohesion .[١]

ويدلل هاليداي على أن هذه الجوانب هى التى تجعلنا قادرين على التنبؤ بما يقوله الآخرون بقوله : تخيل أنك دخلت ، كما نفعل كثيرا فــى الحياة الواقعية ، إلى موقف كلامى كان قد بدأ فعـــلاً، لا يــهم الآن أى موقف يكون ، إنك سوف تكون قادراً بأسرع ما يمكن على أن تشـــترك فى الحوار المتبادل ، فيكف تستطيع ذلك؟ إنك تستطيعه ، فيمــــا أرى ، ببنائك نموذجاً فى ذهنك للمقام ، وأن تقوم بذلك على النحو الآتى : إنك تحدد " مجالاً " بملاحظة ما يجرى ، ثـــم تحـــدد " نـــوع المشـــاركة " بالوقوف على العلاقة بين المشاركين ، وتحدد الصيغة بملاحظـــــة مـــا يمكن تحقيقه باللغة . إنك تقوم بتنبؤات عن أنواع المعانى التى تتوقـــع أن تكون محور الاهتمام فى هذا الموقف الكلامى الخاص. شئ مثل ذلك

---

(1)Butler , Ch . S . (1985) P.66

فيما أعتقــد هو الذى يحدث ، وإلا فمن المستحيل أن نفسر كيف يمكننــا أن نشترك بهذه السرعة فى موقف ما لم نكن نعلم عنه من قبل شيئا. (١)

وقد قدم هاليداي تطبيقا لهذه الجوانــب الســياقية الثلاثــة علــى نصوص متنوعة بعضها شعرى (بيتان من قصيدة بن جونسون إلـــى سيليا) وبعضها نثرى منه ما يتعلق بنوع من النشاط الاجتماعى القانونى وهو عقد الإيجــار، ومنه ما يتعلق بنص دينى (حديث إذاعـــى دينــى لاسقف وولوتش). (٢)

وقد حدد هاليداي فوق ذلك أنماط المعنى السياقى فحصرها فيمــا يأتى: (٣)

١ـ المعنى التجريبى experiential meaning

وهو المعنى الذى يمدنا بالمعلومات عن إجراءات الموقف المبنيــة على تجربة المتكلم وخبرته ، وعن المشاركين فيه ، والعلاقات بينهم.

٢ـ المعنى المنطقى logical meaning

وهو الذى يمدنا بمعلومات عن الطريقة التى ترتبط بها الســياقات الصغرى داخل السياق الأكبر • والنحو هو الذى يمدنا بمعلومات عــن الطريقة التى ترتبط بها المواقف الصغرى مكونة السياق الأكبر.

---

(1)Halliday , M.A.K.& Hasan , R . (1990) P. 28

(2)Ibid , P. 13 f , 18 ff , 26 ff

(3)Ibid , P. 18 ff

- Berry, M. (1977) Vol.2.P.116 ff.

وكلا المعنيين التجربى والمنطقى ينضمان معاً تحت مصطلح جامع هو المعنى الفكرى ideational meaning .

٣ ـ المعنى التبادلى interpersonal meaning

وهو الذى يمدنا بمعلومات عن الموقف المباشر ، وبخاصة عما يريده المتكلم أو الكاتب من السامع أو القارئ ، وما يتوقعه المتكلم أو الكاتب من سامعه أو قارئه ، فقد يختار العنصر " خبرى " declarative من نظام الصيغة mood ليدل على موقفه الذى يرمى إلى إخبار السامع أو القارئ بشئ ما. إنه يدل على أن المتكلم أو الكاتب لا يتوقع استجابة واضحة من جمهوره. أما إذا اختار العنصر "استفهام" مثلاً فسوف يدل ذلك على أن المتكلم أو الكاتب يتوقع نوعاً من الاستجابة سواء أكانت بكلمات أم بحركات جسمية من السامع أو القارئ. وإذا اختار عنصر " الأمر" فهذا يدل على أن المتكلم أو الكاتب يتوقع نوعاً من الفعل أو الحدث action استجابة لهذا الأمر.

٤ ـ المعنى النصّى textual meaning :

وله وظيفتان :

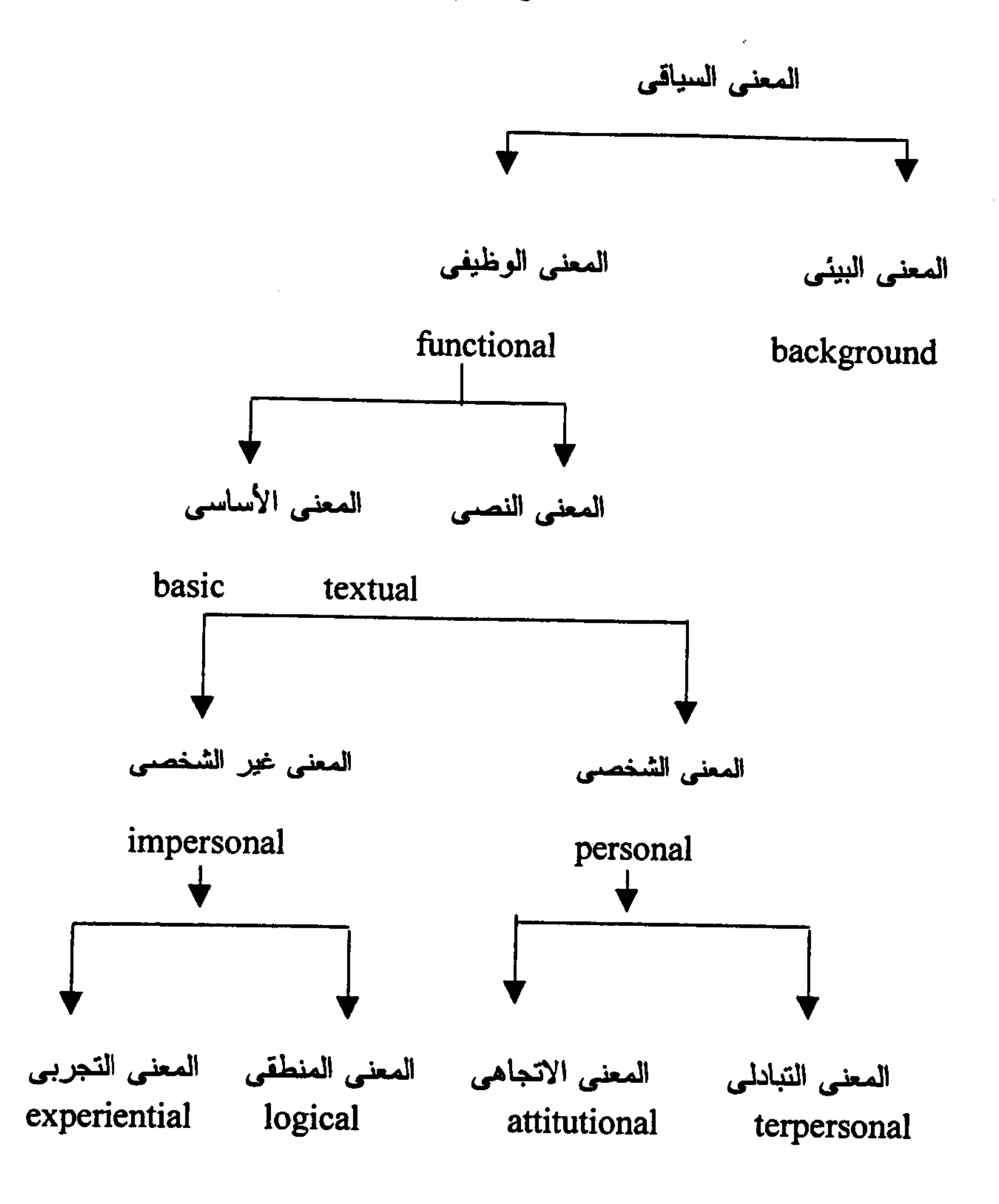
الأولى : التماسك cohesion: أى جعل اللغة المنطوقة أو المكتوبة تمثل نصًّا متماسكا متوحدا ، بدل أن يكون مجموعة من الجمل المتراصة، وذلك بوسائل مختلفة كالربط ، والإضمار والإشارة، وغيرها. وقد تكسر قواعد التماسك النصّى أحياناً لأسباب أسلوبية أو بلاغية.

الثانية : الإبراز promenance : أى إبراز أجزاء معينـــة مــن النص عن طريق اختيار الموضوع الموســوم marked themeأو باختيار الموقع الموسوم marked point علـى غير الموسوم ، فاختيار الموضوع الموسوم نحو : القانون أحترم، فقد قدم القانون إبرازاً لـــه ، وجعــلاً لــه مناـط الاهتمام. واختيار الموقع الموسوم للنبر نحو What shall ? I / ask for / فقد أبرز الضمير I بأن لفت الانتباه إليه بجعله يحمل النبر . على أنه ليس من اللازم أن يجتمـــع التماسك والإبراز معاً ، فقد يرد أحدهما دون الآخر.

وقد أضافت برى نمطا آخـــر أطلقــت عليــه المعنــى البيئــى Background meaning وهو الذى يشير إلى الخلفية الثقافية للمتكلـــم أو الكاتب ، ويحدد بيئتة الاجتماعية ، ثم قدمت مخططا للأنماط المختلفة للمعنى السياقى مبينة كيف تكون علاقة كل منهما بالآخر ، وذلك علـــى النحو الآتى: (١)

(1)Berrey, M. (1977) Vol. 2 P.124

أنماط المعنى السياقى



خامساً : مفهوم التحقيق :

التحقيق واحد من الأسس المنهجية التى يقوم عليها علم اللغة النظامى. وقد استطاعت مارجريت برى بناءً على فهمها لما جاء به هاليداي أن تجلو هذا المفهوم فبينت أن التحقيق يتمثل فى العلاقة بين التصور المجرد والشكل المادى، فكل تصور مجرد يحققه عنصر لغوى مسموع أو مكتوب، وهو نوعان : معجمى يحقق التصورات الذهنية بألفاظ تتفق عليها الجماعة اللغوية كاتفاقهم مثلاً على أن مكان الجلوس الذى ظهر وأرجل بنسب معينه يحققه لفظ كرسى ، وهذا اللفظ يتحقق إما بسلسلة من الأصوات فيكون تحققا مسموعاً، وإما بسلسلة من الحروف فيكون تحققا مكتوبا. والثانى نحوى يحقق التصورات النحوية التى تحكم الاستعمال الصحيح ، فإذا كان لبعض الأشياء خاصية الإفراد مثلاً فسوف يميز فى اللغة على نحو ما بأنه مفرد ، وإذا كان له خاصية عدم الإفراد فسوف يميز فى اللغة على نحو ما بأنه مثنى أو جمع.[١]

التحقيق إذن يكون بمادة substance صوتية أو كتابية، وعلى ذلك فالمظهر الكتابى الذى تتحقق به اللغة قسيم للمظهر المنطوق، وليس تعبيراً عنه لأن ثمة أنواعاً من النصوص تكون الكتابة فيها مقصودة لذاتها من دون التفات إلى أن ينطق بها أو لا ينطق ، ولكل من المنطوق والمكتوب خصائص يتميز بها عن قسيمه.

---

(1) Berry, M. (1977) Vol. 2 p . 18 f

ولا بدّ للمتكلم إذا أراد الاتصال بغيره أن يظهر المعانى الكامنة التى يريد أن يبلغها السامع أو القارئ بأن يشفرها فى أشكال مسموعة أو مقروءة أى أن يحول المعانى المجردة إلى رموز لغوية منطوقة أو مكتوبة ، وعلى السامع أو القارئ أن يحلّ هذا التشفير بإعادة الشكل إلى التصور ، فإذا نجح فى ذلك نجح الاتصال، وإذا فشل الاتصال. [١]

إن كل كلام يتطلب سلسلة من الاختيارات ، وكل اختيار يمثل حركة على مدى التحقيق ، وكل حركة تقرب الكلام خطوة من المظهر المسموع أو المكتوب للرسالة ، وبتتبع مدى " التحقيق " فى اتجاه " التحقيق " يستطيع السامع أو القارئ أن يحلّ شفرة الرسالة، ويكشف عن المعانى التى شفرها المتكلم أو الكاتب[٢] ومهمة النحو الأساسية هى أن يحدد على نحو مضبوط كيف يحقق التصور عنصر منطوق أو مكتوب؟ وأين؟[٣] ومن الممكن القول إن نحو اللغة يتألف من المعنى المجرد والشكل المادى المحقق ، فالمعنى هو الذى يحدد الشكل ، والشكل هو الذى يحول المعنى إلى رموز لغوية[٤] على أن الحركة عبر مدى التحقيق تتجه عادة من المعنى إلى الشكل عند المرسل، وتتجه من الشكل إلى المعنى عند المتلقى.

---

(1) Ibid, P . 35

(2) Ibid, P.21 f.

(3)Ibid , P 28.

(4)Ibid, P 211.

وللتحقيق صلة وثقى بالاختيار choice فكل كلام محقق يختـــار ممرا path أو ممرات عبر مدى التحقيق ، أى أنه يختار سلسلة أفقيــة من بين سلسلتين أو أكثر من السلاسل المتاحة ، وهذه الممـــرات التــى نسلكها حين نختار تقف بإزائها ممرات أخرى كان من الممكن أن تختار لكنها لم تختر.[١]

وحين نصف نحو لغة من اللغات فإن أهم ما يجب الاهتمام به هو استنباط الضوابط التى تتحولِ بها المعـــانى الكامنـــة potential إلــى عناصر لغوية محققة أى إلى رموز منطوقة أو مكتوبـــة ، وأن نبيــن العلاقة بين هذه المعانى والأشكال التى تحققها، ثم العلاقة بين الشـــكل المحقق والشكل المحتمل ، أى بين ما ظهر فعلاً وما كان من الممكن أن يظهر ، لكنه لم يظهر.[٢]

ويقرر النظاميون أن الاختلاف بين اللغات يتمثل فى ثلاث نواح:[٣]

أ - فـــى معانيهـــا الكامنـــة (والاختلاف فيها أقل من الاختلاف فى غيرها).

ب - فى التردد النسبى relative frequency الذى تختـــار بـــه المعانى.

جـ - فى الطرق التى تتحقق بها المعانى فى أشكال.

---

(1)Ibid , P 45.

(2)Berry , M (1977) Vol . 2 P . 48 f.

(3)Ibid , P 49.

ولا تقتصر عندهم علاقة التحقيق على تحقيق المعانى فى أشكال، بل تشمل أيضاً تحقيق الأنظمة فى تراكيب structures . [1]وقد يكون ظهور عنصر من عناصر التركيب أو غيابه هو الذى يحقق عنصراً من عناصر النظام فاختيار العنصر خبرى indicative فى الإنجليزية مثلاً دون عنصر أمرى imperative يحققه ظهور المسند إليه subject فى تركيب العبارة كما فى نحو well-trained dogs keep to heel ، واختيار العنصر " أمرى " يحققه غياب المسند إليه subject من تركيب العبارة مثل : ! keep to heel وبعض عناصر النظام لا يتحقق بظهور عنصر من عناصر التركيب أو غيابه ، بل بموقعه بين عناصر التركيب الأخرى ، وهلم جرا. من ثم فإن المصطلح يتحقق بـ is realised by من الممكن أن يعبر عنه بقولنا مُظهر بـ is manifested by.[2]

وقد ذكرت مارجريت برى ست طرائق تحقق بها التراكيب الإنجليزية عناصر من أنظمة هى : الإدراج Insersion ، والتسلسل concatination والتخصيص particularisation ، والتضمن inclusion والدمج conflation ، والتقطع discontinuity.[3]

تلك كانت الأسس المنهجية العامة التى يقوم عليها علم اللغة النظامى ، وتميزه من النظريات اللغوية الأخرى . وهناك أسس منهجية

---

(1)Ibid , P . 22.

(2)Ibib , P . 22 f

(3)Ibid , P 28 ff

لا تقل أهمية عما قدمنا يتميز بها عن غيره فى درجة عنايته بها واهتمامه لها ، فهو أعنى بها واشدّ اهتماما من نظريات أخرى، وبخاصة النظرية التحويلة التوليدية وأهمها: [١]

١ - علم اللغة النظامى يرى اللغة شكلاً من أشكال الفعل form of doing أكثر من كونا شكلاً من أشكال المعرفة form of knowing فالتمييز بين السليقة competence والأداء performance عند التحويليين تمييز بين ما يعرف وما يفعل أما النظاميون فيميزون بين السلوك اللغوى الكامن potential والسلوك الفعلى ، وهو تمييز بين ما يمكن فعله وما يفعل • ونظر التحويليين إلى النظام اللغوى langue بوصفه معرفة يعدّ جزءا من اهتمامهم بالجوانب النفسية فى الدرس اللغوى ، أما نظر النظاميين إلى النظام اللغوى بوصفه إمكانات للفعل ، ومحاولتهم الوصول إلى السلوك اللغوى الكامن موصولاً بالسياق الثقافى والاجتماعى فيعد جزءا من اهتمامهم بالجوانب الاجتماعية فى الدرس اللغوى • والعلاقة بين الفعل وإمكان الفعل أيسر من العلاقة بين الفعل والمعرفة. [٢]

٢ - يختلف النظاميون عن التحويليين فى تناولهم للنحوية grammaticalness (ينبغى ألا يلتبس هذا المفهوم بالمفهوم

---

(1) Ibib , P . 50 f.

(2)Berry, M . (1975) vol. 1 P . 24 ff.

التقليدى للصحة correctness) فالتحويليون يقيمـــون هــذا المفهوم على أساس قبول acceptability ابـــن اللغـــة، لأن النظر إلى النحوية بوصفها قبولاً يتوافق مع النظر إلى اللغـــة بوصفها معرفة • أما النظاميون فيقيمون هذا المفهوم علــــى أساس يتفق مع نظرتهم إلى اللغة بوصفها شكلاً من أشـــكال الفعل وهو اعتيادية الجملة usualness of sentence، ومـــن ثم لا يحب النظاميون أن يناقشوا النحوية بمعزل عن الســـياق الذى تستخدم الجملة فيه. فقد تكون مقبولة أو غـــير معتـــادة unusual أو غير مستحبة unlikely فى أنماط محددة مـــن السياق ، لكنها قد تكون مقبولة أو معتادة أو مستحبة فى سياق آخر. ولما كان التحويليون ينظرون إلى الكلام على أساس أنه إما نحوىّ وإما غير نحوى فقد اضطروا إلى إخراج كثير من الجمل التى يبدعها الشعراء والأدباء مـــن الجمـــل النحويـــة واعتبارها غير نحوية. أما النظاميون فقادرون على وضـــع هذه الجمل تحت عنوان: جمل غير معتادة، وأحيانـــــا غـــير معتادة على نحو مخفف أو غير معتادة جدا. ومن ثـــم كـــان التحويليون يدركون جيداً صعوبة الوصـــول إلـــى الطريقـــة المثلى لدراسة الأعمال الأدبية فى إطـــار النحـــو التحويلـــى التوليدى. أما النظاميون فقادرون على دراسة الأعمال الأدبية التى تعدّ بحق استعمالاً إبداعيا للغـــة ليس من الممكن إغفاله، داخل الإطار الأساسى لنحوهم ، وهم بذلك لم يهملوا الجوانب الجمالية التى أهملها اللغويين الأمريكيون بصفة عامة.

٣ - ورث هاليداي اهتمام فيرث بالتطبيقات العمليـــة للنظريـــة اللغوية، فكان من اهتماماته الأساسية إيجاد الوســـائل التـــى يستطيع بها الباحثون أن يسهموا فى مجالات تطبيقية متنوعـة كعلم الأسلوب، وتعليم اللغة، والذكاء الاصطناعى وغير ذلـك فضلاً عن إسهامه المتميز فى دراسة النصّ موصولاً بالسياق الاجتماعى والثقافى وهو نمط من الدرس تجاهلته المـــدارس الأخرى.



البَابُ الثَّانِي

النشأة والتطور



الفصل الأول

المرحلة الأولى : نحو المقياس والفضيلة



تبدأ المرحلة الأولى فى حياة هذه النظرية بالبحث الذى نـــال بـــه هاليداي درجة الدكتوراه سنة ١٩٥٥ م ، ونشره سنة ١٩٥٦م ، وكـــان موضوعه " الفصائل النحويـــة فى الصينية الحديثـــة Grammatical Categories in Modern Chinese، وقد استطاع فيه أن يضع إطـــاراً نظريا متماسكا يمكن أن تعالج من خلاله العلاقات بين الوحدات اللغويـــة معالجة منهجية.[١]

ثم اتضحت معالم النظرية فى هذه المرحلة بالبحث الذى اكتمـــل قبل وفاة أستاذه فيرث ، ونشرة عام ١٩٦١ م ، وعنوانه فصائل نظريـــة النحو Categories of the Theory of Grammar بسط فيه الخطـــوط العريضة لنظرية شاملة عن ماهية اللغة وكيفية عملها ، أخذ كثيراً مـــن أصولها عن فيرث.[٢] ثم أتبع هذا البحث ببحث أكثر تفصيلا نشره سنة ١٩٦٤ مشتركاً مع آخَرَيْن هما : مكينتـــوش Mcintosh وســـترفنس Strevens عنوانه : العلوم اللغوية وتعليـــم اللغـــة The Linguistic Sciences and Language Teaching. وقد سميت النظريـــة فى هذه المرحلـــة : نحو المقيـــاس والفصيلـــة Grammar of Scale and Category ، كمـــا سميت الفيرثيـــة الجديـــدة New Firthian .[٣]

---

(1)Butler , Ch.S.(1985) P. 14.

(2)Malmkjær , K . (1991) P. 384

- Robins,R.H.(1980):General Linguistics. An Introductory Survey. Longman London-Newyork P.282.

(3)Ibid , P. 282

- Mindt , D . (1975) S.140

وقد ذكرنا أن هاليداي كان من أنبه تلامذة فيرث، وأشدهم استيعاباً لآرائه وأفكاره ، وأشرنا إلى أن أعمال فيرث على الرغم مما فيها من نظرات نافذة كانت تفتقر إلى إطار نظرى متماسك يجمع شتاتها ويؤلف بينها ، ويوضح الأسس المنهجية التى تقوم عليها . فعزم هاليداي على أن يستثمر جهود فيرث فى علم اللغة، وأن يبنى عليها ليقدم إلى علم اللغة الفيرثى ما لم يقدمه فيرث نفسه. [1]واستطاع أن يقدم وصفا واضحا متماسكا لنظرية فى اللغة تفيد من تصورات فيرث ومفاهيمه لكنها تتجاوز تلك التصورات والمفاهيم بقدرة بارعة على التنظير. [2]

لقد أقام هاليداى تصوره للإطار النظرى لدراسة اللغة فى صورتها المتحققة فى نص مسموع أو مقروء على ثلاثة مستويات أساسية ومستويين بينيين أو رابطين يربطان بين هذه المستويات الثلاثة، وأربع فصائل ، وثلاثة مقاييس تربط الفصائل بعضها ببعض. وسوف نفصل الآن القول فيها:

أولاً : المستويات :

المادة Substance :

والمقصود بها المادة الغفل raw material التى تتكون منها اللغة، وهى نوعان : مادة مسموعة phonic تتمثل فى الأصوات ، ومادة

(1) Robins , R.H (1980) P . 282

(2)Morley, G.D. (1985):An introduction to Systemic Grammar. Macmillan Publishers. Hong Kong .P.V

مكتوبة graphic وتتمثل فى الحروف أو الرموز الكتابية ، وكلتـــاهما تمثل وسيطا ماديا يتم الاتصال اللغوى من خلاله.[1]

الشكل Form :

والمقصود به النص المستخدم فى اتصال لغوى ، ويتألف مـــن جانبين هما : النحـــو grammar ، والمعجم lexis ، والفرق بينهما أن النحو نظام مغلق يختار فيه المرء بين عدد محددّ من العنـــاصر، أمـــا المعجم فالاختيار فيه مفتوح ؛ لأن عناصره غير محصورة.[2]ويتضـــح هذا الفرق فى المثالين الآتيين:

١ - ـــــــ ذهبت. إذا أردت أن تضع ضميرا شـــخصيا فـــى المكان الخالى قبل الفعل ، فلا بدّ أن تختار ضميراً من عدد محصور من الضمائر فى اللغة العربية يمثل نظام الضمائر فيها، وهو نظام تام مغلق ، ليس من الممكن أن نزيد فيه أو ننقص. والضمير المختار ينبغى أن يكون " هى".

٢ - ذهبت هند إلى ـــــــ . إذا أردت أن تضع بعد حرف الجرّ عنصراً معجمياً فالاختيار أمامك مفتوح يشمل كل الأمـــاكن التى تستطيع هند الذهاب إليها، وهـــى أمـــاكن لا يمكـــن

---

(1)Halliday , M.A.K. (1961) :Cotegories of the Theory of Grammar, in :kress, G.(ed) 1976 P. 53
- Mindt , D. (1975) S . 140 .
- Robins , R.H. (1980) P. 282
(2)Halliday , M.A.K. (1961) in : Kress, G.(ed)1976 P . 55
- Mindt , D. (1975) S. 142

حصرها كالبيت، والمسجد، والكلية، والمكتبة، والسوق، والمتجر، والمصنع... الخ.(١)

وثمة فرق آخر بين النحو والمعجم يتمثل فى أن الاختيار فى النحو قد يكون متزامناً بين أبواب نحوية كالإفراد والتثنية والجمع ، والتذكير والتأنيث ، والتعريف والتنكير ٠٠٠ الخ ٠ على حين أن الاختيار فى المعجم لا يتعدى العناصر المعجمية المفردة. (٢)

ومصطلح العنصر المعجمى lexcal item مفضل فى هذا المجال على مصطلح الكلمة ؛ لأن كثيرا من العناصر المعجمية تضمّ أكثر من كلمة مثل مفتاح باب غرفة المكتب ، رخصة القيادة ، ضريبة المال العام ، وكيل النيابة ، رئيس الجامعة ، ولأن كثيراً من الكلمات لا تعدّ عناصر معجمية كالضمائم ، وأسماء الإشارة ، والأسماء الموصولة ، وحروف الجرّ وأسماء الشرط ٠٠٠ الخ.(٣)من هنا كانت الدراسات المعجمية فى هذه المرحلة المبكرة من حياة النظرية تهتم بعلاقات التضام collocation. وهو أمر كان فيرث يوليه ــ كما رأينا ــ عناية خاصة. (٤)

(1) Mindt, D. (1975) . S . 143.

(2) Ebenda, S. 143

(3) Morley , G.D. (1985) P . 3

(4) Ibid , P 3.

الموقف Situation :

والمراد به كل العناصر الاجتماعية والثقافية التى تخرج عن نطاق النظام اللغوى ، وتمثل ظروف النص المدروس وملابساته ، إنها تشمل مثلاً مكان النص ، وزمانه ، والوقائع التى مهدت له وأحاطت به، وعدد المشاركين فيه ، وطبيعة شخصياتهم ، ومنزلة كل منهم من الآخر، وموضوع الحديث ، والأحداث المصاحبة له ، وما يقوم به المشاركون من إيماءات وحركات جسمية.[١]

هذه المستويات الثلاثة هى المستويات الأساسية التى يقوم عليها علم اللغة ، وثمة مستويان رابطان interlevels بينها ، أحدهما يربط المادة بالشكل ويتكون من مظهرين تبادليين هما الصواته phonology والخطاطة graphology والآخر يربط الشكل بالموقف وهو السياق:[٢]

أ ـ الصواتة والخطاطة :.

هما مستويان تبادليان يمثلان مظهرى الاستخدام اللغوى نطقاً وكتابة، فالصواته علم يهتم بالوحدات الصوتية فى لغة محددة، والقيمة التى لها فى تلك اللغة، ففى اللغة أربع وحدات صواتية (= فونولوجية) هى الفونيم phoneme والمقطع syllable ، والتفعيلة foot، والضميمة النغمية tone group فالفونيمات تتمثل فى الوحدات الصوتية المفردة ، والمقاطع تتمثل فى أنماط البروز النسبى للصوت فى سلسلة الفونيمات ،

---

(1)Ibid , P 3

(2)Morley . G . D . (1985) P 3

- Mindt , D . (1975) S . 141

ولكل مقطع ذروة أو أوج peak من البروز ، والتفعيلة تتمثل فى أنمــاط النبر stress pattern فى سلسلة المقاطع ، وعلى كل تفعيلة يقع نـــبر واحد قوى. أما الوحدة النغمية فتحمل أنماط التنغيم. (١)

والفرق الأساسى بين علم الأصوات phonetics وعلم الصواتــه phonology يتمثل فى أنّ علم الأصوات يعنى بالطبيعـــة الجوهريـــة للأصوات من دون نظر إلى اللغة أو اللهجة التى تنطق فيها ، على حين أن علم الصواتة يهتم بوظيفة الأصوات فى نظام محدد للغة محــددة أو لهجة. (٢)

أما الخطاطة فهى دراسة لأنظمة الكتابـــة وعلاقاتـــها بالأنظمـــة الصواتية. (٣)

ب ـ السياق contxt:

وهو مستوى يربط بين الصيغة والمقام أو المواقف غير اللغوية ، فهو يربط المعانى الوظيفية للعناصر اللغوية بالمعانى المقاميـــة التـــى تلابس الحدث اللغوى. (٤)وقد ظهر أثر هـــذا المســـتوى واضحـــاً فـــى الدراسات المبكرة لضروب الاستعمال اللغوى registers التى يختـــص فيها ضرب معين من اللغة بضرب معين من الاستخدام ، فلغة الوثـــائق

---

(1)Morley , G . D . (1985) P . 3 f

(2)Ibid , P . 4

(3)Mindt , D . (1975) S . 141

(4)Ibid , S . 141

القانونية غير لغة الجراحة عند الأطباء ، وكلتاهما غير اللغة المستخدمة فى مأدبة عشاء ... الخ.[١]

ومن الممكن أن نورد الآن شكلا يلخص المستويات الجوهرية الثلاثة التى يقوم عليها علم اللغة ، وما يربط بينهما :[٢]

المادة	⟷	الشكل	⟷	المقام
المادة الصوتية	الصواته الخطاطة	النحو المعجم	السياق	المحيط الاجتماعى والثقافى
	علـم اللغـة			

ولكل مستوى من هذه المستويات علم يقوم على دراسته ، فدراسة المادة الصوتية الغفل يقوم عليها علم الأصوات phonetics ، ودراسة الشكل والسياق يقوم عليها علم اللغة ، وعلم الصواته phonology يصف العلاقة بين المادة الصوتية الغفل والشكل. أما العلاقة بين الشكل والمادة الكتابية فيقوم عليها علم الخطاطة، ولا يحمل كل من علم الصواته وعلم الخطاطة على علم الأصوات وحده، ولا علم اللغة وحده، وإنما ينتمى كل منهما إلى كلا المجالين. والشكل يقوم على دراسته النحو والمعجم ، أما السياق من حيث هو علاقة بين الشكل والأحوال غير اللغوية فيقوم على دراسته علم الدلالة semantics، وهو يمثل

---

(1)Morley , G.D. (1985) P . 4 f

(2)Ibid , P . 6

- Mindt , D . (1975) S . 141
- Robins . R. H (1980) P 283

المعبر بين الظواهر اللغوية والظواهر غير اللغوية.[1] ولا يبعد هذا التصور للإطار النظرى عن تصور منظومية هيلمسلف الذى أشرنا إليه قبلا.[2]

ثانيا : الفصائل : categories :

يقوم النحو فى هذه المرحلة على أربع فصائل أساسية هى الوحدة unit ، والصنف class ، والتركيب structure والنظام system.[3]

الوحدة :

الوحدة فى النحو تشبه إلى حدّ كبير الوحدة التى تقاس بها أطوال الأشياء، فكما أن الأشياء تقاس بالياردة والقدم والبوصة ، أو المتر والسنتيمتر والمليمتر مرتبة على هذا النحو فإننا نقيس القطع اللغوية segments بالجملة sentence ، والعبارة (= الجملة الأساسية) clause ، والضميمة group ، والكلمة word ، والمورفيم morpheme.[4]

وكان هاليداي فى بحثه عن اللغة الصينية سنة ١٩٥٦ قد جعل الوحدة الخامسة بعد الجملة والعبارة ، والضميمة والكلمة ما أطلق عليه الكاركتر character (وهو رمز كتابى يعتمد على تيمة صوتية فى

---

(1)Mindt , D. (1975) S. . 141
- Robins , R. H. (1980) P . 282 f

(٢) انظر ص من هذا البحث.

(3)Halliday , M.A.K. (1961) , in : Kress, G. (ed) 1976 P . 55

(4)Berry, M. (1975) vol . 1 P . 91

الأنظمة الكتابية غير الألفبائية، وقد استبدل به من بعد ، حين اتجه بأبحاثه إلى دراسة اللغة الإنجليزية، المورفيم.(١)

وهذه الوحدات الخمس متدرجة تدرجا هرميا،(٢) ولكل منها صلة بالآخر من حيث الحجم size ، والاشتمال inclusion ،(٣) فالجمل تشتمل على العبارة (= الجملة الأساسية) والعبارات على الضمائم ، والضمائم على الكلمات والكلمات على المورفيمات كما يظهر ذلك في الشكل الآتي الذي يمثل مقياس الرتبة rank scale (٤)

وحدات النحو	الجملة	sentence
	العبارة	clause
	الضميمة	group
	الكلمة	word
	المورفيم	morpheme

ولكل من الوحدتين الأولى ، وهى الجملة ، والأخيرة ، وهى المورفيم خاصية تختلف بها عن غيرها من الوحدات ، فالجملة هى الوحدة الكبرى ، وهى من ثمَّ لا تنضوى تحت وحدة أخرى ، والمورفيم هو الوحدة الصغرى ، فلا تنضوى تحته وحدات أخرى ، أى أنه إذا كانت كل وحدة من الوحدات ــ فيما عدا المورفيم مركبة مما يليها ،

---

(1)Malmkjær, K. (1991) Scale and Category Grammar . P . 385

(2) Halliday , M.A.K. (1961) , in : Kress, G . (ed) 1976 P.57 f

(3) Robins, R.H. (1980) P . 283

(4) Berry, M. (1977) vol. 2, P.7.
- Morley, G.D. (1985) P.8 f.

فإن المورفيم لا يكون إلا وحـــدة بسيطة ، لأن كل وحدة أخــــرى قـــد تتكون من وحدات تالية لها ، أما المورفيم فلا تتلوه وحدة أخــــرى ؛ إذ هو آخرها وأقلها حجما. (١)

وقد قدم هاليداي وزميلاه مثالاً توضيحيا مــــن اللغـــة الإنجليزيـــة هـــو: I was going to say they were probably all in tents then فذكر أن الجملة تتكون من عبارتين همـــا :

1- I was going to say.

2 - They were probably all in tents then.

وكل عبارة منهما تتكون من ضميمة أو أكثر، فالعبـــارة الأولـــى تتكون مــــن :

- I وهى ضميمة اسمية مكونة من كلمة واحدة.
- was going to say وهى ضميمة فعلية تتكون من أربع كلمات
- was كلمة تتكون من مورفيم واحد ، ولا يمكن تقسيمها ٠
- going كلمة تتكون من مورفيمين go + ing ، وليس مـــن الممكن تقسيم أى منهما بعد ذلك. (٢)

---

(1) Morley . G.D. (1985) P. 8.

(2)Halliday . M.A.K. _ McIntosh. A- Strevens, P. (1964) P.26.

فإذا كانت الجملة تتكون من مورفيم واحد مثل yes فى الجواب عن سؤال فقد رأى هاليداي وزميلاه أنهـا ينبغى أن تحلل – مراعـاة للاتساق النظرى – على أنها جملة واحدة، تتكون من عبارة واحـدة ، تتكون من ضميمة واحدة تتكون من كلمة واحـدة تتكون من مورفيـم واحـد[1] وهـو مـا أطلـق عليـه مبـدأ " الحسـاب الكلـى total accountability". ولم يسلم هذا المبدأ من هجـوم عليـه مـن غـير النظاميين. [2]

التركيب structure :

التركيب هو ترتيب العناصر النحوية فى مواقع محـددة ترتيبـاً تتابعيا، بحيث يكون بينـها علاقـات متبادلـة. والـتركيب فصيلـة موضوعـة لإيضاح التمـاثل likeness بيـن العنـاصر، وتكـرار repetition وقوعها، وهو تجريد يصف أنماط العلاقات التتابعية علـى المستوى النحوى. [3]

ولكل وحدة من الوحدات الخمس التى سبق ذكرها تركيبـها ممـا يليها من وحدات ، فيما عدا الوحدة الصغرى " المورفيم " فلا تركيـب لها. [4] ولا يقال إن المورفيم يتكون من فونيمات، لأن المورفيـم آخـر الهرمية النحوية أما الفونيم فهو آخر الهرمية الصواتية (الفونولوجيـة)

---

(1) Ibid, P. 26

(2) Butler , Ch.S. (1985) P . 17

(3)Halliday , M.A.K. (1961). in : Kress, G (1976) P . 59

(4) Halliday , M.A.K. et al (1964) P . 28

التى تتكون مـن المجموعـة النغميـة tone group والمجموعـة النغمية تتكون من تفعيلات feet والتفعيلات من مقـاطع syllables ، والمقاطع من فونيمات phonemes.[(١)]

والجملة تتركب من عبارتين على الأقل إحداهما أصلية وهـى العبارة الحرة free التى يمكن أن تستقل بذاتـها ، والأخـرى فرعيـة subordinate وهى العبارة المقيدة bound المعتمـدة علـى غيرهـا والعبارة الأصلية يطلق عليها فى نحو المقياس والفصيلة المصطلح ألفـا ويرمز لها بالرمز α ، والعبارة الفرعية يطلق عليها مصطلـح بيتـا ويرمز لها بالرمز β .[(٢)] وسوف نكتفى هنا بأن نرمز للعبارة الأصليـة بالرمز "ص" وللعبارة الفرعية بالرمز " ف " موردين أمثلة عربية كلما أمكن ذلك تيسيراً على القارئ العربى ، ومحاولة للتطبيق على العربية فالجملة التى تحتوى على عبارتين إحداهما أصلية والأخرى فرعية مثل قوله تعالى:

ف ص

﴿وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب﴾ (البقرة ١٨٦)

---

(1)Ibid, P. 60

- Robins , R. H. (1980) P . 283

(2)Morley , G.D. (1985) P . 9 f

ويجوز أن تشتمل الجملة الواحدة على جملتين أصليتين أو أكثر ، نحو قوله تعالى:

ص ص ف

وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر (البقرة ١٨٧).

كما يجوز أن تشتمل على جملتين فرعيتين أو أكثر نحو قوله تعالى :

ص ف ف

وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله (البقرة ١٩٣)

أما تركيب العبارة فيشتمل على أربعة عناصر أساسية تتماثل فيها العبارات جميعها وهى:[1]

١ - المسند إليه	subject	(= م)
٢ - المسند	predicator	(= س)
٣ - المتمم	complement	(= ت)
٤ - المستلحق	adjunct	(= ل)

(1)Halliday , M. A. K . (1961) , in : Kress, G. (ed) 1976 P . 61
- Berry , M . (1977) vol . 2 P .4.

فالمسند إليه لا يكون إلا ضميمة اسمية ، والمسند فى الإنجليزية لا يكون إلا ضميمة فعلية ، وهو فى العربية قد يكون ضميمة اسمية أو فعلية ، والمتمم يكون ضميمة اسمية أو وصفية ، والمستلحق يكون ضميمة ظرفية أو جرية أو غيرهماوالفرق بين المتمم والمستلحق أن المتم لا يستغنى لا يستغنى عنه الكلام فهو متمم لعنصرى الإسناد فإذا لم يذكر فى الكلام عد محذوفاً ، أما المستلحق فمن الممكن الاستغناء عنه من دون أن يؤدى إلى خلل فى التركيب النحوى أو تغيير فى أصل المعنى[1]نحو :

م	س	ت	ل
زيد	أكرم	عمراً	كل الإكرام

وقد ذكر مورلى عنصراً خامساً هو " z " وهو يشير إلى ضميمة اسمية غير معروف إن كانت مسنداً إليه أم متمما نحو : قصة مدينتين، سوناتا ضوء القمر ، ونحو ماما فى قولك : اندفع الأطفال صائحين : ماما. ويظهر العنصر " z " فى الجملة التامة حين تقوم الضميمة الاسمية بوظيفتى المسند إليه والمتمم فى وقت واحد مثل : ساعد الرجل زوجته على أن تعبر الطريق ، فالضميمة الاسمية " زوجته " فى هذه الجملة تقوم بوظيفتين : متمم للفعل ساعد ، ومسند إليه للفعل تعبر ، وكذلك نحو : أقنع الرجل أخته بأن تزوره ٠ وظاهر أن

---

(1)Morley , G.D. (1985) p.10 f

هذا العنصر يستخدم عند غياب المسند إليه أو المسند ، وعند اندماج وظيفتين فى عنصر لغوى واحد.[١]

ويظهر التماثل فى تركيب العبارات إذا أمكن تقسيم كل منها أقساماً متماثلة يمثل كل قسم منها عنصراً من عناصر التركيب ، مثل:[٢]

م	س	ت	ل
زيد	فتح	الباب	فجأة
أغلب الطلاب	لم يفهموا	الدرس	أمس
خالتى زينب	قرأت	هذه القصة	عدة مرات
أنماط جديدة من السلوك	أصبحت	شائعة جدا	هذه الأيام

على أنه ليس من اللازم أن يشتمل تركيب كل عبارة على هذه العناصر الأربعة ، فقد لا يستعمل بعض هذه العناصر ، وقد يتكرر بعضها ولا يتكرر بعض آخر ، فقد يتكرر المتمم ولا يستعمل المستلحق ، وقد يتكرر المستلحق ويحذف المتمم ، وقد يذكر المسند إليه ويحذف المسند أو العكس،[٣] لكن التراكيب المتماثلة لا بدّ أن تكون متماثلة فيما يحذف أو يذكر أو يتكرر من العناصر.

---

(1) Ibid P . 10 f

(٢) انظر الأمثلة التى أوردتها برى فى :

- Berry, M (1975) Vol. 1 p. 63.

(3)Halliday , M.A.K. (1961) , in : Kress , G. (ed) 1976 P 61 ff.

وأما تركيب الضميمة ، إذا كانت اسمية ، فينقسم إلى ثلاثة أقسام، كل قسم منها يمثل موقعاً ، وكل موقع مشغول بعنصر ، فالعناصر إذن ثلاثة هى : محدد سابق modifier (= د)، وكلمة أساسية headword (= ك) ومحدد لاحق qualifier (= ح) ويتضح ذلك من المثال الآتى. [1]

د	ك	ح
ال	رجل	الذى فقد عقله

على أنه ليس من اللازم أن يذكر كل من المحددين فى كل ضميمة، بل قد يكتفى بالكلمة الأساسية فتعدّ وحدها ضميمة اسمية مثل زينب مثلاً أو أحمد فى نحو : زينب كريمة ، أحمد كريم •

د	ك	ح
ال	رجل	—

وكالبر فى نحو : رجل البرّ قادم

د	ك	ح
—	رجل	البرّ

(١) انظر أمثلة من اللغة الإنجليزية فى :

- Morley , G.D. (1985) p.12.
- Berry, M. (1977) vol. 2 P. 5.

وقــد يتعدد المحــدد السابق فى ضميمة اسمية واحدة كمــا فى :

هذا الرجل / كريم[١]

د	د	ك	ح
هذا	ال	رجل	—

وقد يتعدد المحدد اللاحق فى ضميمة اسمية واحدة كما فى نحــو :

تحيةً من عند الله مباركة طيبة. [٢]

د	ك	ح	ح	ح
—	تحيةً	من عند الله	مباركة	طيبة

وإذا كانت الضميمة فعلية كان من الممكن أن تشتمل أيضا علــى ثلاثة مواقع كل منها مشغول بعنصر ، والعناصر الثلاثة هــى : فعــل مساعد (= ف م) ، وفعل أصلى (= ف ص) ، ومتمم (ت) [٣]كمــا فى قوله تعالى: [٤]

﴿ وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة ﴾ (مريم ٥٥)

---

(١) انظر : محمود أحمد نحلة : التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل (الإسكندرية) ١٩٩٧ ص ٢٣ فما بعدها.

(٢) انظر مثالاً من اللغة الإنجليزية فى

- Mindt, D (1975) S 144

(3) Malmkjær, K. (1991) : Scale and Category Grammar . P . 386

– Berry, M. (1975) vol. 1 p. 107

(٤) انظر مثالاً من اللغة الإنجليزيـــــة فى:

- Mindt, D. (1975) S. 144

ت	ت	ف ص	ف م
بالصلاة	أهله	يأمر	وكان

ونحو قوله تعالى :

﴿إذا أخرج يده لم يكديراها﴾ (النور ٤٠)

ت	ف ص	ف م
ها	يرى	لم يكد

وأما تركيب الكلمة فيتكون من أربعة أنواع من المورفيمات هى السابقة prefix والأساس base واللاحقة suffix والنهاية (الإعرابية) كما فى نحو : الأصليان

ال : سابقة	أصل : أساس
يّ : لاحقة	ان : نهاية

وليس من اللازم أن تشتمل الكلمة على هذه المورفيمات مجتمعة ، كما أن من الممكن أن تتعدد السوابق أو اللواحق فى كلمة واحدة.

على أن هاليداي قد عنى بالتفريق بين الترتيب order والتتابع sequence فذكر أنهما غير متطابقين ، فالترتيب لا يكون إلا على أساس المواقع، أما التتابع فلا يشترط فيه ذلك ، فقد يكون تتابعاً أصيلا

أو غير أصيل كأن يقدم عنصر من تأخير مثلاً .[١] وللترتيب دور مهم فى تركيب العبارة الإنجليزية ، إذ إنه معيار حاسم للمسند إليه الذى يرد دائماً سابقا على المسند[٢] وهاليداي يشير إلى علاقة التتابع الأصيل – وهو الذى يرادف الترتيب – بوضع سهم فوق العناصر المتتابعة أصالة نحو SPCA (= م س ت ل).[٣] وعلى الرغم مما تعرض له هذا التفريق من نقد فقد ظل هاليداي متمسكاً به فى أبحاثه التالية.[٤]

الصنف calss:

لكل تركيب عناصره التى يشغل كل منها موقعاً فيه ، وما يندرج تحت كل عنصر من مفردات تمثل هذا العنصر يسمى صنفا[٥] فالصنف عدد من مفردات العناصر اللغوية تتماثل توزيعيا فى تحقيقها لعنصر من عناصر التركيب من دون نظر إلى تماثلها الشكلى أو تركيبها الداخلى internal structure فليس صحيحاً أن أى صنف من مفردات اللغة يمكن أن يقع فى أى موقع من مواقع التركيب،[٦] فالمفردات من نحو: كتب، واستقرَّ ، وتوالى ، وكان يفعل ، وأخذ يفعل، وكاد يفعل وأشباهها

(1)Butler, Ch.S. (1985) P . 18

(2)Ibid , P . 18

(3)Halliday M.A.K. (1961) , in: Kress, G. (ed) 1976 P . 62

(4)Butler, Ch. S. (1985) P. 18

(5)Halliday M.A.K. (1961) , in: Kress, G. (ed) 1976 P . 64

(6)Ibid, P. 64

- Butler, Ch. S. (1985) P . 24

تتجمع فى صنف يقوم بدور المسند فى العبارة، ولا يجوز مثلاً أن تقع موقع المسند إليه أو تقوم بدوره. (١)

والفرق بين الصنف class والنمط type عند هاليداي أنّ النمط يحدد على أساس التماثل الشكلى، أما الصنف فيحدد على أساس الدور الذى يقوم به فى التركيب. (٢) والفرق بين الصنف وعنصر التركيب أن عنصر التركيب يحدد موقعيا على أساس العلاقة الأفقية بينه وبين غيره من عناصر التركيب ، أما الصنف فيحدد جدوليا على أساس العلاقة الرأسية بين المفردات التى تشغل موقعا واحداً ، وتمثل عنصراً واحداً من عناصر التركيب. (٣)

على أنه قد يقع تداخل بين أصناف المفردات التى تمثل عناصر فى التركيب ، ففى نحو **زيد أكرم عمرا** ، **وعمرو أكرم زيداً** ندرك أن "أكرم " فى كلتا الجملتين يندرج فى صنف هو " الفعل " أو " الضميمة الفعلية " وأنه يقوم هنا بدور المسند.أما زيد وعمرو فى كلتا الجملتين فقد استخدم كل منهما مسندا إليه ومتمما على السواء ، وفى هذه الحالة يظهر ما سمى من بعد الصنف المتقاطع cross – class أى الذى يصلح أن يمثل عنصرين من عناصر تركيب العبارة أو أكثر ، وفى هذه الحالة ينبغى أن يعامل هذا الصنف المتقاطع على أنه صنف واحد هو " الاسم " أو الضميمة الاسمية ". فالضميمة الاسمية تشغل عادة موقع

---

(1) Butler, Ch. S. (1985) P . 24.

(2) Ibid , p . 24

- Berry, M. (1975) vol. 1 p. 76.

(3)Halliday , M. A. K . (1961) in , Kress. G. (ed) 1976 P. 64

المسند إليه أو المتمم فى التركيب أو هما معاً ، (وقـد تشـغل أيضـاً موقع المستلحق فى اللغة العربية حين تقع حالاً أو مفعـولاً مطلقـاً أو مفعولاً لأجله ... الخ). والضميمة الفعليـة تقـوم بدور المسند.[١]

وقد أضيفت إلى هاتين الضميمتيـن ضميمتـان أخريـان همـا الضميمـة الظرفيـة adverbial group والضميمـة الجريـة preposational group ، وقد تكون كل منهما متمما أو مستلحقا.[٢]

ومن الحق أن نقول إنه ليس من اللازم أن يخصص صنف بعينـه ليمثل عنصراً بعينه من عناصر التـركيب ، أو أن صنفـا بعينـه لا يمكن أن يمثل عنصرا بعينه ، فذلك موكول إلى طبيعـة الاستخدام. وقد قـدم بعـض الباحـثين مثـالاً متطـرفاً لذلك من اللغـة الإنجليزيـة هو: He sang his didn't, he danced his did فكـلا العنصريـن did و didn't ينتمى إلى صنف الفعل المسـاعد لكنـه اسـتخدم هنـا استخدام الأسماء، [٣] ومثل ذلك أن يقـال فـى العربيـة المعـاصرة " أنجـزت هذا الأمـر بالكاد"، إذ استخدم فيه الفعل كاد ، وهو من صنف الفعل المساعد فى العربية استعمال الأسماء ، وهو استخدام غـير وارد فى عربية التراث.

---

(1) Butler, Ch. S. (1985) P 25
-Berry , M . (1975) vol . 1 p . 75
(2) Morley , G. D. (1985) P . 16
(3) Berry , M . (1975) vol . 1 p . 76

وقد أشار هاليداي إلى أن الأصناف الأساسية يمكن أن تقسم إلـى أصناف ثانوية secondary classes على أساس ما يشغل منها موقعاً بعينه في التركيب، وما يكون منها حراً غير مقيد بموقع، وهذا الاتجـاه الموقعي يعدّ عند هاليداي مقياساً لتأسيس الأصناف الثانويـة للضميمـة الظرفية.(١)

ولم يلبث هاليداي أن فرق بين الأصنـاف الثانويـة والأصنـاف الفرعية ، فإذا كانت الأصناف الثانوية تحدد على أساس الموقـع فـإن الأصناف الفرعية تحدد على أساس مصاحبتـها للعنـاصر الإشـارية deictics فمن الممكن مثلاً تقسيم الضميمـة الاسـمية إلـى صنفين فرعيين: معدودة وغير معدودة ، فالأسماء المعـدودة يمكـن أن تقـع مصاحبة ل each, a إذا كانت مفردة ، ول these إذا كانت جمعا ، أما الأسماء غير المعدودة فلا تكون مصحوبة بمثـل هـذه ، بـل تكـون مصحوبة بنحو much .(٢)

النظام : system

النحو عند هاليداى هو ذلك المستوى من الشكل اللغوى الذى يقـوم على أنظمة مغلقة ، وهو يرى أن وصف الأنظمة بالمغلقة مـا هـو إلا وسيلة توكيد ، لأن النظام لا يكون نظاماً إلا إذا كان مغلقاً أى محصوراً بالعدّ، فهو يتكون دائماً من عدد محصور من العناصر لا تزيـد ولا

---

(1) Halliday , M. A. K . (1961) in , Kress. G. (ed) 1976 P. 64 f.
- Butler , Ch .S. (1985) P . 25f .
(2) Butler , Ch .S. (1985) P . 26.

تنقص، وكل عنصر من عناصر النظام الواحد لا بدَّ أن يكون مختلفاً عن سائر العناصر، فلا يجوز أن يطابق عنصر فى نظام عنصراً آخر فى النظام نفسه. [١]

وتستخدم عناصر النظام استخداماً تبادليا ، فاختيار واحد من العناصر يمنع أى عنصر آخر من النظام نفسه، فإذا كان شئ ما مفرداً مثلاً فلا يمكن أن يكون فى الوقت نفسه جمعاً، واختيار المفرد فى نظلم للعدد يتكون من المفرد والجمع يستلزم استبعاد الجمع. كذلك لا يجوز استخدام أكثر من عنصر واحد من عناصر نظام بعينه فى موقع واحد، فلا يجوز مثلاً أن تقول:

***أنا أنت ناجح .** [٢]

والمعنى الوظيفى لكل عنصر فى النظام يعتمد على معنى العناصر الأخرى فى النظام نفسه ، فنظام العدد فى الإنجليزية المعاصرة يقوم على عنصرين مفرد وجمع ، وقد كان فى الإنجليزية القديمة يقوم على ثلاثة : مفرد ، ومثنى ، وجمع ، ولذلك فإن معنى عنصر الجمع فى نظام للعدد ثنائى يختلف عنه فى نظام للعدد ثلاثى ولإيضاح ذلك نقول : من الحقائق المعروفة أنه إذا خصص مبلغ محدد من المال لعدد محدد من الناس فلن يستطيع أى واحد منهم أن يزيد فى نصيبه إلا على حساب الآخرين ، فإذا أضيف شخص آخر إلى

---

(1) Halliday , M. A. K . (1961) in , Kress. G. (ed) 1976 P. 54.

(2) Berry, M (1975) vol. 1 P . 144.

عـــدد الناس تناقص نصيب كل منهم وإذا استبعد واحــــــد منـــهم زاد نصيب الآخـــرين ، كذلك الحـــال فـــى كل نظام، فلكل نظام مجـــال محدد من المعنى يشترك فيه عدد محدد من العناصر، فإذا أخذ عنصـــر منها شريحة من المعنى أكبر أو أصغر مما أخذه غيره، فـــإن شـــرائح المعنى التى تأخذها العناصر الأخرى تتأثر بذلك زيادة ونقصا. وبنـــاء على ذلك فإن عنصر الجمع فى نظام ثلاثى يفقد بعض نصيبه فى مجال المعنى، إذ يشاركه فيه المثنى، وإذ أسقط عنصر المثنى فى نظام ثلاثـــى زاد مجال معنى الجمع.[1]

وبناء على ما قدمناه فإن للنظام ثـــلاث خصـــائص لا بـــدَّ منـــها مجتمعة هى :

١ - أنه مغلق على عدد محصور من العناصر.

٢ - أن اختيار واحد من عناصره يمنع اختيار آخر.

٣ - أن المعنى الوظيفى لكل عنصر من عناصره يعتمـــد علـــى معنى العناصر الأخرى فى النظام نفسه.

ويرى هاليداي فى هذه المرحلة أن الأصناف classes المختلفـــة من العناصر يتفرع كل صنف منها إلى أنـــواع فرعية تمثل أنظمـــة[2] فصنف المسند إليه مثلاً يتكون من أنواع كأن يكون ضميراً أو معرفـــاً

---

(1) Ibid , p. 145 f.
– Morley , G . D . (1985) p . 17
(2)Halliday , M. A. K . (1961) in , Kress. G. (ed) 1976 P. 67

بأل أو مضافاً ، أو اسماً موصولاً أو مفرداً علماً ...الخ ومن الممكن حصر كل الأنواع التى تقع مسنداً إليه ، فإذا تم الحصر نشأ النظام.

ثالثا : المقاييس

وهى ثلاثة مقاييس تربط الفصائل بعضها ببعض : الرتبة ، والتحقيق، ومدى التفصيل.

الرتبة rank :

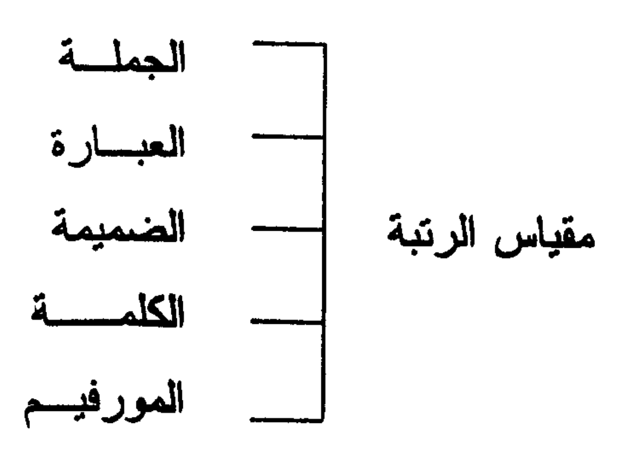
الرتبة مقياس ترتب عليه الوحدات النحوية ترتيباً هرميا.[١] وقد سلف القول إن هاليداي حدد خمس وحدات للنحو هى الجملة sentence، والعبارة clause، والضميمة group، والكلمة word، والمورفيم morpheme.[٢] ومقياس الرتبة rank scale هو قائمة بهذه الوحدات مرتبة على أساس من حجمها ووظيفتها كما يظهر فى الشكل الآتى:[٣]

---

(1)Butler, Ch. S. (1985) P . 16.

(٢)أخذ هاليداي على بلومفيلد مارآه من أن المورفيمات تتكون من فونيمات ، لأنه فيما يرى خلط بين الرتبة والمستويات ، فالمورفيمات وحدات على مقياس الرتبة النحوية ، والفونيمات وحدات على مقياس الرتبة الفونولوجية . (انظر باتلر ص ٢٨ من المرجع السابق) .

(3)Berry , M. (1975) vol. 1 P . 104.



ويحكم ترتيبها على هذا النحو إذا اتجهنا من أعلـــى إلـــى اســـفل العلاقة " تتكون من consist of " فالجملة تتكون من عبارة أو أكـــثر، والعبارة تتكون من ضميمة أو أكثر ، والضميمة تتكون مـــن كلمـــة أو أكثر ، والكلمة تتكون من مورفيم أو أكثر ، فالعلاقة بين الجملة والعبارة هى نفسها التى بين العبارة والضميمة ، وهى نفسها التى بين الضميمـــة والكلمة ، وهى نفسها التى بين الكلمة والمورفيم.

وإذا اتجهنا من أسفل إلـــى أعلـــى فالعلاقـــة هـــى " تُكـــوِّن " constitute فالمورفيمات تكون الكلمات، والكلمات تكـــون الضمـــائم ، والضمائم تكون العبارات والعبارات تكون الجمل.[١]

ولما كان حديث هاليداي عن الرتبة وعن غيرها يفتقر فـــى هـــذه المرحلة إلى الأمثلة التوضيحية ، ويميل إلى التجريد الشـــديد لدرجـــة يصعب معها على غير المتخصص متابعة ما يقول ، فقد حاول بعـــض الباحثين تقديم بعض الأمثلة التوضيحية من اللغة الإنجليزية،[٢] ونحـــاول هنـــا أن نقدم المثال الآتى من اللغة العربية :

(1) Ibid , P . 105 f.

(2) Butler , Ch. S. (1985) P . 17.

كاد الزلزال يسقط بيتنا القديم

فهذه الجملة تتكون من عبارة واحدة ، والعبارة تتكون من الضمائم الآتيـــة :

١ – كاد ... يسقط

٢ – الزلزال.

٣ – بيتنا القديم.

والضميمة الأولى تتكون من كلمتين هما : كـــاد ويســقط وهــى ضميمة غير متصلة discontinuous ، والضميمة الثانية تتكون مــن كلمة واحدة هى الزلزال ، والضميمة الثالثة تتكون من كلمتين هما بيتنـا القديم، وكل كلمة تتكون من مورفيمين •

ومن الواجب التنبيه إلى أن الوحدة الواحدة قد تتكون من وحدة أو أكثر من الوحدة التى تليها[1] ، لكنها لا تتكون بحال من جـــزء مــن وحدة تليها ، وجزء من وحدة لا تليها، كأن تتكون العبارة مثـــلاً مــن ضميمـــة وكلمـــة أو من ضميمـــة ومورفيم ، ولا تتكون أيضـــاً مــن وحدة لا تليها مباشرة كأن تتكون العبارة من كلمة أو أكـــثر ، أو مــن مورفيم أو أكثر ، كذلك لا تتكون الضميمة من مورفيم أو أكثر.[2] فهذا المقياس يتجه من الوحدات العليا إلى السفلى فحسب.[3]

---

(1) Berry , M (1975) vol . 1 P . 105 f.

(2) Ibid , P . 106

(3) Halliday , M. A. K . (1961) in , Kress. G. (ed) 1976 P. 70

على أنه قد يقع فى التراكيب غير البسيطة وحدات تشمل مكوناتها وحدات من رتبة ليست أدنى منها فى مدى الرتبة ، بل تعادلهـــا فـــى الرتبة أو تكون أعلى منها رتبة ، وقد حلّ هاليداي هذا الإشكال بإجــازة ما أسماه نقل الرتبة rank shift [1] ففى المثال الذى قدمناه من قبل وهو " تحية من عند الله مباركة طيبة " ضميمة اسمية تشتمل على ضميمـــة جرية هى " من عند الله " لكنها نقلت هنا من رتبة الضميمة إلى رتبـــة الكلمة المفردة ، ولهذا جاز أن تشتمل عليها الضميمة.

ومن الممكن أيضاً أن تشتمل الضميمة على عبارة أعلى منها رتبة إذا كانت العبارة فى منزلة الكلمة الواحدة ، أى نقلها الاستخدام من رتبة العبارة إلى رتبة الكلمة. [٢] ففى نحو قولك : (رأيت بيوتاً أكـــل الدهــر عليها وشرب) اشتملت الضميمة الاسمية "بيوتا أكل الدهر عليها وشرب " على عبارة " أكل الدهر عليها وشرب " وهى أعلى مـــن الضميمـــة رتبة، وقد جاز ذلك ، لأنها فى منزلة الكلمة المفردة وتقـــوم بوظيفتـــها فهى تعادل معنىً ووظيفةً قولنا قديمة أو بالية ، ولهذا فإن رتبتها نقلــت من العبارة إلى الكلمة.

فكل وحدة إذن من الممكن أن تنقل رتبتها إلى رتبة وحدة أدنـــى منها أو ما يطلق عليه downward rank إذا كـــانت بمعناهـــا وقـــامت

---

(1) Ibid , P . 70 f .
- Berry , M.(1975) vol. 1 P. 107 f
- Butler, Ch . S. (1985) P . 16 f

(٢) انظر الأمثلة الإنجليزية التى قدمتها برى فى :
Berry, M. (1975) Vol.1 P. 106, 110

بوظيفتها ، لكن ليس من الممكن أن تنقل رتبة من الأدنى إلى الأعلى أو ما يسمى upward rank.[1]

التحقيق exponent :

التحقيق مقياس يجمع بين الفصائل categories ، ويربط كلا منها بالأخرى، وبالمادة اللغوية linguistic data ، فالفصائل تنتقل عبر هذا القياس من أقصى درجات التجريد إلى أقصى درجات التحقيق المادى الذى تظهر به فى شكلها النهائى المنطوق أو المكتوب، جامعة بين الجانبين المعجمى والنحوى.[2]

وهذا المفهوم أقرب مفاهيم علم اللغة النظامى إلى النحو التحويلى ؛ إذ تتحول من خلاله البنية الباطنة إلى بنية ظاهرة على خلاف فى مفهوم البنية الباطنة بين المدرستين ، وفى الطريقة إلى تتحول بها إلى بنية ظاهرة[3] فإذا أردنا أن نتتبع تحقيق جملة مثل " زيد يبنى بيتا "[4] عبر مقياس التحقيق وجدناه يمضى على النحو الآتى:

---

(1) Butler , Ch. S. (1985) P . 17
- Robins, R.H. (1980) P 284
(2) Halliday , M.A.K. (1961) , in : Kress (ed) 1976 P . 71
- Butler, Ch. S. (1985) P . 28
(3) Berrr , M (1975) vol, 1 P . 196
(٤) انظر تحليل الجملة الإنجليزية الذى قدمه مورلى فى :
- Morley , G.D. (1985) P . 24.

ج # ← ص

ص ↙ عبارة

عبارة ← م س ت

م ↙ ضميمة اسمية

ضميمة اسمية ← ك

ك ↙ اسم علـــــم

اسم علم ↙ زيـــد

س ↙ ضميمة فعلية

ضميمة فعليـــة ← ك

ك ↙ ف ص (فعل دال على المفرد الغـــائب والزمن الحاضر)

ف ص ↙ يبنى

ت ↙ ضميمة اسمية

ضميمة اسمية ← ك

ك ↙ اسم (مفرد ، نكرة ، منصوب)

اسم ↙ بيتاً

(السهم ← = يتركب من ، والسهم ↙ = يتمثل فى)

ويمكننا الآن أن نوضح المراحل السابقة من التحقيق ، فأول ما يبدأ به هو تصور الجملة # ج # وهو يتمثل فى جملة خبرية بسيطة أصيلة (ص) وهذه الجملة تتمثل فى عبارة ، والعبارة تتركب من مسند إليه (م) ومسند (س) ومتمم (ت) ، والمسند إليه يتمثل فى ضميمة اسمية ، والضميمة الاسمية تتركب من كلمة أساسية (ك) والكلمة الأساسية تتمثل فى اسم علم والاسم العلم يتمثل فى زيد.

والمسند يتمثل فى ضميمة فعلية ، والضميمة الفعلية تتركب من كلمة أساسية (ك) والكلمة الأساسية تتمثل فى فعل أصلى (ف ص) دال على المفرد الغائب والزمن الحاضر ، وهو يتمثل فى يبنى.

والمتمم (ت) يتمثل فى ضميمة اسمية والضميمة الاسمية تتركب من كلمة أساسية و الكلمة الأساسية تتمثل فى اسم مفرد نكرة منصوب وهو يتمثل فى (بيتاً).

مدى التفصيل delicacy :

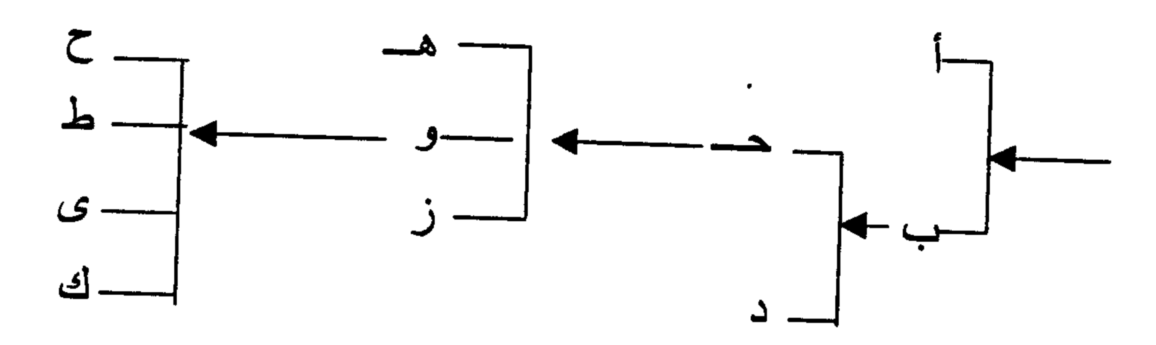
إذا كان مقياس الرتبة يبين علاقة الوحدات units بعضها ببعض، وإذا كان التحقيق يبين المراحل التى تتحول بها المعانى إلى أشكال لغوية منطوقة أو مكتوبة ، فانَّ مدى التفصيل يبين علاقة الأنظمة بعضها ببعض. [١]

---

[١] Berry , M. (1975) vol. 2 P . 42

فإذا أخذنا نظاما من أنظمة اللغة وقسمناه أقساماً فرعية ، ثم تابعنا التفريع إلى أقصى مدى ممكن حيث يصبح من غير الممكن الوصول إلى تفريع آخر ، ثم رتبنا الأمثلة على أساس من درجة التفصيل التي تمثلها على مقياس يحدد درجة تفصيلها بالقياس إلى غيرها ، فهذا المقياس يسمى مدى التفصيل scale of delicacy .[1]

فإذا كان نظام ما يتكون من عنصرين هما أ، ب ، وكان أحدهما يتفرع إلى ج ، د ، ج يتفرع إلى هـ ، و ، ز كان النظام الفرعي الأخير أشدها تفصيلاً ، فإذا لم يمكن بعد ذلك تفريع أى من (هـ) و(و) و(ز) فقد وصلنا إلى نهاية مدى التفصيل ، على أن من الممكن أن يتزامن التفريع فقد يتفرع كل من أ ، ب إلى فرعين، فعندئذ يكونان على درجة واحدة من التفصيل،[2] ويتضح ذلك من الشكل الآتى:

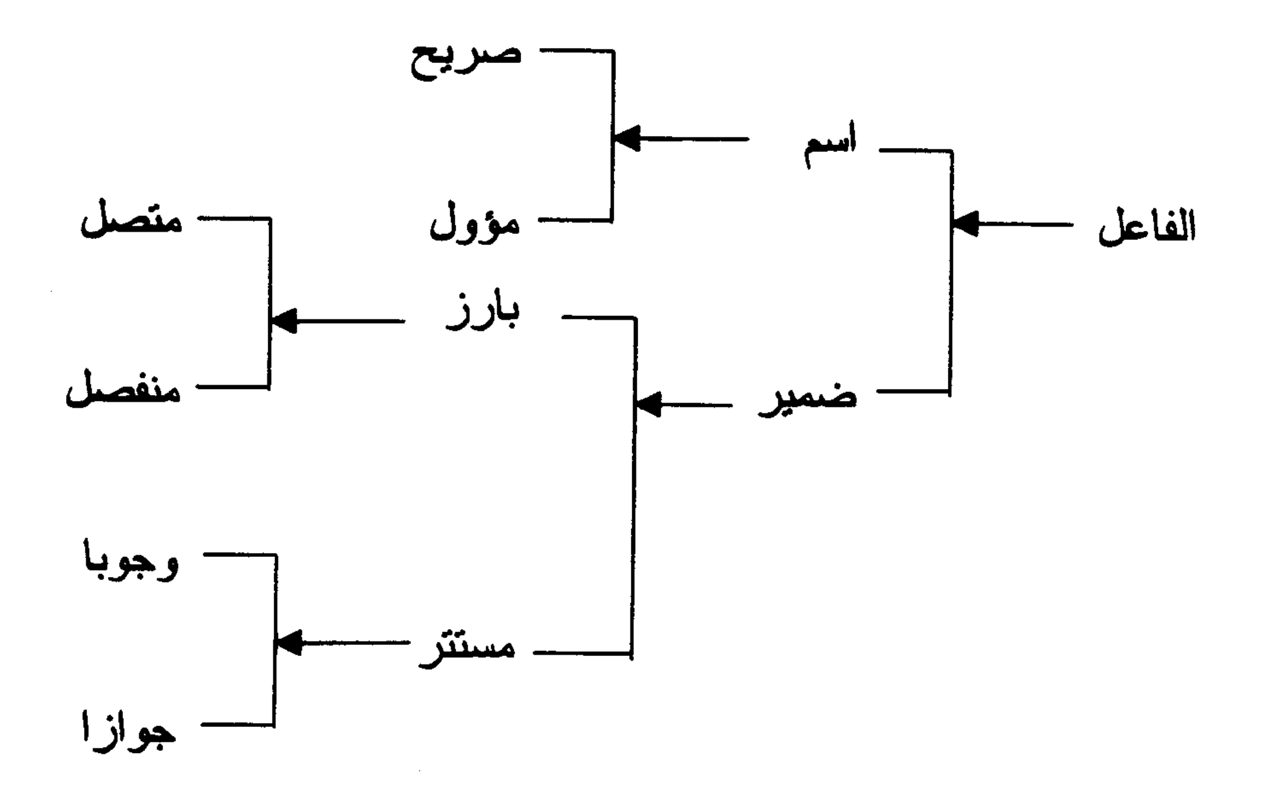


---

(1)Ibid vol. 1 P . 177

(2)Ibid, P. 180 f.

ويمكننا أن نقدم مثلاً توضيحيا من اللغة العربية هو نظام الفاعليــة كما قدمه نحاة العربية :





الفصل الثاني

النحو النظامى الوظيفى



شهدت المدّة من سنة ١٩٦٤م إلى نهاية العقد السابع من القــــرن العشرين تطوراً حاسماً فى النظرية اللغوية عند هاليداي،[١] ، فقـد أدرك الرجل ضرورة وضع علم لغة نظامى يتجاوز به نموذجـــه الســابق " المقياس والفصيلة ". وقد أفضى هذا إلى بزوغ نموذج أشدّ إحكاماً أطلق عليه النحو النظامى لما أصبح للنظام فى هذا النموذج من أهمية بالغــة. وقد تمثل هذا التطور فى أمرين أساسيين:

أحدهما : التوجه الوظيفى: وقد جعل هذا بعض البــاحثين يطلــق على نموذج هاليداي فى هذه المرحلة " النحــو النظــامى الوظيفى Systemic Functional Grammar ".[٢]

الثانى : دمج الاتجاه الوظيفى فى الاتجاه الاجتماعي مع اهتمــــام متنام بالظواهر الدلالية. ولهذا رأى بعض الباحثين أن مـــا جاء به هاليداي فى العقد السابع من القرن العشرين مــــن الممكن أن يطلق عليه " النحو النظامى الوظيفى ذو التوجه الدلالى semantically oriented systemic functional grammar .[٣]

وقد نتج عن هذا فيما تلا ذلك من سنوات نموذج وظيفــــى غــير منبت الصلة عن نحوه النظامــى ضمنه هاليداي كتابه الذى أصــــدره سنة ١٩٨٥ بعنــوأن مدخل إلى النحو الوظيفى An Introduction to

---

(1)Butler Ch.S. (1985) P . 57

(2)Morley, G.D. (1985) P . v

(3)Butler Ch.S. (1985) P . 57

وتمـــيز بـــه عـــن نموذجيـــن وظيفييـــن ، Functional Grammar آخـــرين هما: "النحو الوظيفـــى" الذى طـــوره سايمـــون دك .S. C Dike سنة (١٩٧٨ ، ١٩٨٠) " والنحـــو الوظيفـــى التوحيـــدى " لكاى M. kay سنة (١٩٨٤، ١٩٨٥)، وإن جمع بينها التأثر بمدرسة " براغ "[١] وعلى الرغم من أنّ النحو النظـــامى عنـــد هـــاليداي – كمـــا سيأتي- كان يشتمل على مكونات وظيفيـــة functional components وعلى الرغم من أن النظرية التى تكمن خلف نحوه الوظيفـــى نظريـــة" نظامية "، فقد حصر اهتمامه فى هذه المرحلة الثالثة من التطـــور فـــى الجانب الوظيفى من النحو ، أى فى تفسير تجســـيد الأنمـــاط النحويـــة للوظائف ، وصلة ذلك على وجه الخصوص بتحليل النص.[٢] والنـــص عنده هو " كل ما يقال أو يكتب " وبؤرة الاهتمام هنا هى " اللغـــة فـــى الاستعمال language in use • والنحو الوظيفى عنده نحو طبيعـــــى natural بمعنى أن كل شئ فيه يمكن إيضاحه بالإحالـــة إلى طبيعـــة الاستعمال اللغوى ، وهو على ذلك ليس نحواً شكليا بحال ، بل هو نحو استعمالى، الوظيفة فيه لا ترادف الشكل بل الاستعمال.[٣]

وسوف نحاول فى هذا الفصل أن نتتبع تطور النظرية فى المرحلة الثانية التى تسبق ظهور كتابه " مدخل إلى النحو الوظيفى " الذى يعـــدّ

---

(1)Malmkjær, K.: Functional Grammar, in Malmkjær, K. (ed) 1991 P.141.

(2)Ibid, P 141.

(3)Halliday , M.A.K (1985) An Introduction to Funtional Grammar. Edward Arnold , London . P : v

إيذاناً ببدء المرحلة الثالثة من تطور هذه النظرية. وسوف نشير إلى ما أصاب بعض المفهومات السابقة من توسعة أو تطوير ، وما أضيف من مفهومات جديدة، وما أصبح الاهتمام به أقل مما كان.

أولاً : النظام وشبكاته :

رأينا فى الفصل السابق كيف كان النظام فصيلة من أربع فصائل أساسية فى نموذج " المقياس والفصيلة " ، وكان المقصود به مجموعة مغلقة من الاختيارات المتاحة فى مواقع معينة من التركيب انسجاماً مع مبدأ تعدد الأنظمة عند فيرث. (١)

وقد تطور هذا المفهوم تطوراً واضحاً فى هذه المرحلة ، فلم فلم يعد ، كما استخدمه هاليداي فى نموذجه المبكر ، مجموعة مفردة من الاختيارات ، بل تعدى ذلك إلى ما سمى شبكة النظام system network، وهو مصطلح يدل دلالة واضحة على تشابك العلاقات بين عناصر النظام الواحد من جهة ، وبين الأنظمة المختلفة من جهة أخرى. (٢)

وقد ذكر هاليداي أن نحو أية لغة هو فى الحق شبكة كبرى من الأنظمة المتشابكة ترتب فيها الأنظمة ترتيباً متدرجا hierarchical ، أو متزامنا semaltaneous ومعنى الترتيب المتدرج أن أى نظام يعتمد اعتماداً مباشراً على النظام الذى يقع على يساره (فى الإنجليزية) أو

---

(1)Butler, Ch.S. (1985) P . 40

(2)) Malmkjær,K.: Fanctional Grammar , in Malmkjær K, (1991) P.44

على يمينه (فى العربية) مباشرة ، على مقياس التفصيل · والنظام السابق هو الذى يمدّ اللاحق بنقطة الدخول point of entry إليه ، ومعنى ذلك أن الاختيار من نظام ما غير ممكن إلا عن طريق عنصر مختار سابقاً من نظام أقل منه تفصيلا. [١]

وليس المقصود بالتزامن أن الاختيارات المتزامنة تتم فى اللحظة نفسها، بل المقصود به أن نظاميين مستقلين أو أكثر يقعان فى نقطة واحدة من مقياس التفصيل ، ولكل منهما شرط دخول واحد. [٢]

وشبكات الأنظمة تعمل فى إطار رتبة rank معينة للوحدة unit كرتبة العبارة مثلاً بوصفها نقطة منشأ point of origin وقد أصبح من الممكن ترتيب الأنظمة فى شبكات بعد أن وسع مفهوم التفصيل delicacy ليشمل العلاقات النظامية systemic relation [٣]وإيضاحاً لذلك نورد الآن تخطيطاً لشبكة نظامية. [٤]

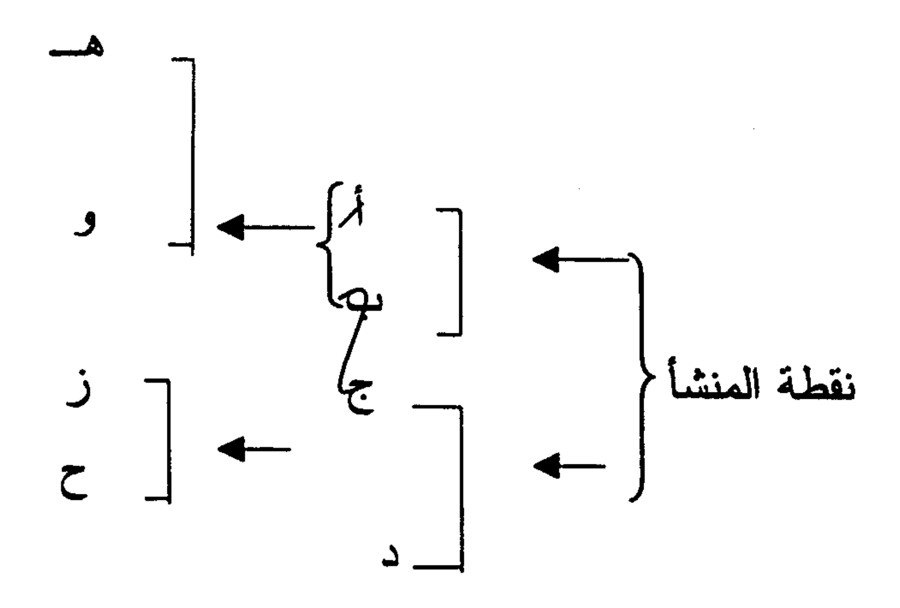
---

(1) Halliday, M.A.K(1966):Deep grammar:system as semantic choice, in : Kress. G.(ed) (1976) P .92 f
- Butler, Ch.S.(1985) P. 40
- Berry, M. (1975) vol. 1 P. 179 f.

(2) Halliday M.A.K. (1966) , in : Kress, G . (ed) 1976 p. 93
- Berry, M. (1975) P . 182 f

(3) Butler, Ch.S. (1985) P0 40

(4) Ibid , P. 41



هذا تخطيط لشبكة نظام تجريدية ذات نقطة منشأ معينة منها نظامان متزامنان هما أ/ب ، ج/د ، وعلاقة التزامن تظهر في مواجهة القوس { الدال على النظاميين المتزامنين ، والاختيار من كل من النظاميين المتزامنين محصور فى أربعة تجمعات محتملة من العناصر هى: أ ج ، ب ج ، أ د ، ب د .

والعناصر المختارة من عبارة معينة أو ضميمة اسمية أو غير ذلك يشار إليها غالباً على أنها سمات features لتلك العبارة ، ويمكن لذلك أن نتحدث عن عبارة اختارت السمة " استفهامية " مثلاً ، أو ضميمة اختارت السمة مفرد ، وهكذا. وقد جرى العرف عند النظاميين بوضع السمة بين معقوفين [ ]، والسهم المتجه من السمة [أ] إلى النظام [هـ] / [و] ، ومن السمة [ج] إلى النظام [ز] / [ح] يشير إلى علاقة الاعتماد dependence relation ، فإذا اختيرت السمة [أ] من النظام [أ] / [ب] فإن الاختيار التالى يجب أن يكون بين [هـ] و [و] ، كذلك إذا اختيرت السمة [ج] فإن الاختيار التالى

يجب أن يكون بين [ز] و [ح] ، فالشـــبكة network تســمح بتسـعة تجمعات محتملة من السمات النظامية النهائيـــة terminal systemic feature هى :

[هـ ز]، [هـ ح]، [هـــ د]، [و ز]، [و ح]، [و د]، [ب ز]، [ب ح] ، [ب د].[١]

وقد يكون الاعتماد بسيطا كما ظهر ، وقد يكون مركباً كما فـــى الشكل الآتى :

أ
ب
ج
د
هـ
و

فإذا أريد الدخول إلى النظام [هـ] / [و] فمن اللازم قبـــل ذلـــك اختيار [أ] و [ج] معاً من النظام الخاص بكل منهما.[٢]

---

(1)Ibid, P. 41

(2)Ibid, P. 42

ولكى لا يظل الأمر فى حيز التجريد من الممكن أن نورد شـــبكة النظام الخاصة بالصيغة mood [1] فى اللغة العربيـــة ، وقـــد وجـــدت أستاذنا تمام حسان قد سبق إلى ما يمكن أن يكون تخطيطـــاً مختصـــراً لذلك [2]مما يثير عندى إحساساً قويا بأنه كان على صلة وثيقـــة بـــهذه النظرية ، وإن لم يفصح عن ذلك ، وسوف أعيد عرض ما قدمه علـــى نحو ينسجم مع تخطيط شبكات الأنظمة فى هذه النظرية ، وذلك علـــى النحو الآتى :

---

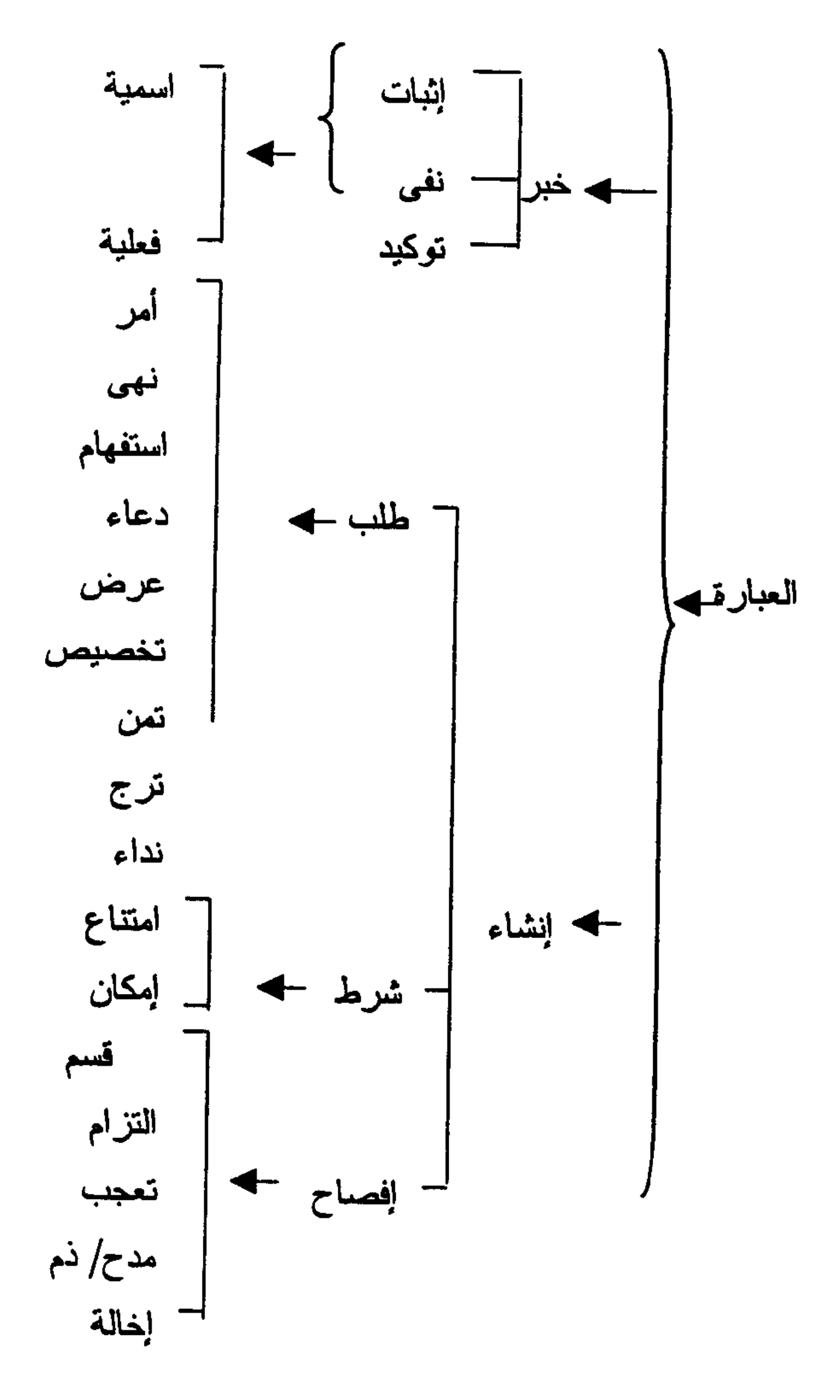
(١)انظر تخطيط هاليداي لها فى اللغة الإنجليزية فى :

- Halliday M.A.K. (1966) , in : Kress, G. (1976) P. 93

- وانظر تخطيطا لشبكة نظام سيمية غير لغوية فى :

- Eggens, S (1994) An Introdnction to Systemic Functional Linguistics. Pinter publishers. London . p. 205 f .

(٢) تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها (القاهرة ١٩٧٣) الجدول المقابل للصفحة ١٩١.



ويظهر فى الشبكة أنّ نقطة المنشأ هى العبارة ، والمقصود بها الجملة البسيطة المستقلة التى تقوم على إسناد واحد ، فإذا اخترتها للتعبير كان عليك أن تختار بين أن تكون خبراً أو إنشاء ، فإذا اخترت أن تكون خبراً كان عليك أن تختار بين أن تكون إثباتا أو نفيا أو توكيداً، فإذا اخترت واحداً منها كان عليك أن تختار بين أن تكون العبارة اسميّة أو فعلية . وإذا اخترت أن تكون العبارة إنشاء كان عليك أن تختار بين

أن تكون طلباً أو شرطا ، أو إفصاحا ، فإذا اخترت أن تكون طلباً كان عليك أن تختار بين أن تكون أمراً ، أو نهيا ، أو استفهاماً أو دعاء ، أو عرضاً أو تحضيضاً ، أو تمنيا أو ترجيا ، أو نداء ٠ وإذا اخترت أن تكون شرطا كان عليك أن تختار بين الشرط الإمكانى والشرط الامتناعى ، وإذا اخترت أن تكون إفصاحاً كان عليك أن تختار بين القسم ، والالتزام ، والتعجب ، والمدح أو الذم ، والإخالة.

وواضح أن كل اختيار نظام له شبكته الخاصة به ، فمن الممكن أن نفصل القول فى نظام الاستفهام أو النفى أو الأمر ، أو التوكيد ، أو الشرط ٠٠٠ الخ ، وأن نرسم شبكته التى تحدد العلاقة بين عناصره ، وبين غيره من الأنظمة ٠ وواضح أيضاً أن اختيارك للخبر مثلاً شرط دخول إلى نظام الإثبات أو النفى أو التوكيد ، واختيارك لواحد منها شرط دخول إلى العبارة الاسمية أو الفعلية ، وكذلك اختيارك الدخول إلى نظام الأمر مشروط باختيارك للطلب بعد اختيارك للإنشاء ... وهكذا. ومن الممكن بعد ذلك أن نلفت إلى أمور نراها جديرة بالملاحظة:

١ - مفهوم شبكة النظام ينحرف درجة ما عن التفسير الفيرثى لمبدأ تعدد الأنظمة polysystemic principle على الرغم من أن ذلك لا يستلزم التخلى عنه فعند فيرث كانت بيئة الأنظمة environment of systems كلها رأسية paradigmatic ، وأن أنظمة فردية تختص بمواقع معينة فى التركيب. أما عند هاليداي فبيئة الأنظمة بعضها رأسى،

وبعضها أفقى.[١]

٢ - شبكة النظام تتألف من مجموعة مـــن الإمكانـــات يحجـــب بعضها بعضاً ، فإذا اخترت واحداً منها امتنع اختيار الآخر، وهى من ثم تشتمل على ما اختاره المتكلم فعـــلاً ، وما كان من الممكن أن يختاره ، لكنه لم يختره.[٢]

٣ - اعتماد نظم على أخرى محكوم بتحقق شرط الدخـــول مـــن نظام إلى نظام يحدده ما بينهما من علاقات ، ومن خـــلال هذه العلاقات يمكن التنبؤ بأن سمات معينة يمكن اختيارهـــا على حين لا يمكن اختيار سمات أخرى ، من هنا فإن الـــلا نحويـــة ungrammaticality يمكـــن التنبـــؤ بـــها تنبـــؤاً صحيحا.[٣]

٤ - كل شبكة نظام لا بدَّ لها من نقطة منشأ point of origin ، وهذه النقطـــة تؤخـــذ مـــن رتبـــة معينـــة علـــى مقيـــاس التفصيل، وأكثر ما تكون عبارة أو جملة بسيطة، لكن يجوز أن تكون غير ذلك كالضميمة أو الصنـــف الاســـمى فـــى

(1)Halliday M.A.K. (1966) , in : Kress,K.(ed) 1976 P. 91 f., 97
-Butler, Ch.S.(1985) p. 45
-Eggins,S.(1994) p.210
(2)Butler, Ch.S. (1985) P. 4
(3)Ibid, P. 45
- Berry, M. (1975) vol. 1 p . 184

الضميمة، وهكذا.[١]

٥ – اقتضى ترتيب الأنظمة فى شبكات أن يوسع مفهوم التفصيلى delicacy فأصبح يشمل العلاقــات النظاميــة systemic relations بعد أن كان مقصورا على العلاقات التركيبيــة structural reation .[٢]

٦ – شبكة النظام غير محصــورة open - ended ، وهــى لا تقتصر علــى مستوى واحــد مــن مستويــات الوصـــف اللغــوى ، بل تشملها جميعــا، فهناك الشبكة الدلاليـــة semantic netwak ، والشبكة النحويــة grammatical ، والشــبكة الصواتيـــة (=الفونولوجية).[٣]

٧ – شبكات النظام مأخوذة فى حقيقة أمرها من وظائف اللغـــة ، ومعبرة عنها ، ومن الممكن أن تؤخذ شبكة النظام من أكـثر من وظيفـــة ، فمــن خلال الوظائف تعبر الشــبكات عــن سياق الاستعمال.[٤] فشبكة الصيغة التـــى ذكرناهــا علــى ســبيل المثــال مــأخوذة مـــن الوظيفـــة التبادليـــة

---

(1)Butler, Ch.S.(1985) p .40
- Eggins, S. (1994) P . 208
(2)Butler, Ch.S. (1985) P . 40
(3)parret, H. (1974)discussing Language, Mouton, the Hague, P.87
(4)Halliday, M.A.K. (1970), in : Kress, G. (ed)1976 P. 30
- Malmkjær, K. (1991) P . 449

interpersonal function. [1]

ثانيا : توسيع مفهوم التحقيق :

فى سنة ١٩٦٤ استعار هاليداي مصطلح التحقيـــق realization من سيدنى لامب sydeney M. Lamb الذى يعد مؤسس علـــم اللغـــة الطبقاتى (= التنضيــــدى) Stratificational Linguistics. [2] وكـــان لامب يرى أن التصورات العقلية تظهر فى صــورة أصوات إنسـانية ، وأن اللغة جهاز فى جهة منه تقع التصورات العقلية التى اختزنها العقـل من العالم المحيط بنا ، وفى الجهة المقابلة تقع الأصوات اللغوية التـــى ينطقها المتكلم ليعبر بها عن هـــذه التصورات ، وهذا الجهاز يعمـــل متجها من التصورات إلـــى الأصوات فيمكن المتكلم من وضع الشـــفرة encoding ، كما يعمل متجها من الأصوات إلى التصـــورات فيمكـــن السامع من فـــك الشفـــرة decoding. [3] وقد رأى لامب أن هناك ست طبقات strata من العلاقات هى:

١ - الطبقة السيميمية العليا hypersememic stratum ، وهـــى أعلى الطبقات الست التى تقسم إليها اللغة ، وتشتمل علـــى الدلالات الكبرى.

---

(1)Martin, J.R.: Systemic Grammar, in : Bright, W . (ed)1992. International Encyclopedia of Linguistics. Vol. 4 P. 121

(2)Butler ,Ch.S.(1985) P. 51

- Mindt , D(1975) P . 126

(3)Mindt , D(1975) P . 126 f

٢ – الطبقة السـيميمية sememic stratum ، وتشـتمل علـى الوحدات الصغرى المجردة.

٣ – الطبقة اللكسـيمية lexemic stratum ، وتشـتمل علـى المفردات اللغوية.

٤ – الطبقة المورفيمية morphemic stratum : وتشتمل على مورفيمات اللغة.

٥ – الطبقة الفونيمية phonemic stratum : وتشـتمل علـى فونيمات اللغة.

٦ – الطبقة الصوتية hypophonemic وتشتمل على الأصـوات التى هى أقل من الفونيمات.

والعلاقة بين كل طبقة وأخرى أطلق عليها مصطلح " التحقيـق " فعناصر كل طبقة تحققها عناصر الطبقة التى تليها فنصل عبر الطبقات الست من التصورات العقلية إلى الأصوات الكلامية. (١)

وقد أفاد هاليداي من هذا التصور ، فرأى كما رأى لامب التحقيـق علاقة بين النظام الدلالـى semantic system والنظـام المعجمـى-النحوى lexicogrammatical system، ورتب ذلك أنّ "يمكن أن يقول "can say هـى تحقيق لـ" يمكن أن يعنى can mean" ، فالنحو هـو "ما يمكن للمتكلم أن يقوله " والتحقيق هـو "ما يعنيه المتكلـم بقولـه"،

(1)Ibid, P . 127

وعلم الدلالة يهتم بما " يمكن أن يعنيه المتكلم"، وما يمكـــن أن يفعلـــه المتكلم " تحقيق لما يمكن أن يعنيه ، لكنه تحقيق من نوع مختلـــف إذ إن "ما يمكن أن يفعل " يقع خارق نطاق اللغة. وقد تجاوز ذلـــك، إلـــى أن هناك علاقة تحقيق بين النظام الدلالى وبعض المستويات السيمية العليـــا التى يمكن أن تســـميها إن شـــئت النظـــام الســـلوكى behavioural system.[١]

وقد وســـع هاليداي بنـــاء على ذلك شـــبكة الصيغـــة mood network لتشمل ما سمى من بعد الصيغية modality . وقد وســـع أيضاً شبكة الموضوع المقدم tematization (بمعنـــى تقديـــم أحـــد العناصر ليصبح هو الموضوع) ليشمل الموضوع المركـــب complex theme،[٢] كما وضع قواعد للتحقيق realization rules ، منـــها : أن العبارة الإنجليزية إذا كانت غير أمرية indicative ذكر المسند إليـــه، وإذا كانت تقريرية declarative استخدم المسند تاليا للمسند إليـــه، وإن كان الموضوع theme غير موسوم unmarked ادمج المسند إليه مـــع الموضوع وقد قدم كل قواعد التحقيق من خلال ما أسماه حـــزم الأدوار الوظيفية bundles of functional rules.[٣]

---

(1)Halliday , M.A.K. (1973) : Explorations in Functions of Language . Edwar Arnold. London P . 82
- Parrot , H . (1974) P.86
- Berry , M . (1977) Vol. 2 P . 50 , 128

(2)Butler , Ch.S. (1985) P 51 f

(3)Ibid. ,p.52

وينبغى اللفت إلى أن ثمة ترتيبا لقواعد التحقيق يحدده مقيــــاس التفصيل للسمـــات النظاميـــة المحققـــة ، فمثلا السمــــة (غير أمرية) يجب أن تتحقق قبل (تقريرية)، أى أن الاختيار الأقـــل تفصيلاً يتحقق قبل الاختيار الأكثر تفصيلا لكن الاختيارات المتزامنة يمكن أن تتحقـــق دون أن يشـــترط فيها ذلك. (١)

ثالثا : **النحو الباطن** deep grammar

استطاع هاليداي فى بحث له سنة ١٩٦٦ عنوانه: " **النحو الباطن: النظام اختياراً دلالياً**" أن يقدم تمييزا للجوانب الباطنة والجوانب الظاهرة للأنماط اللغوية تمييزاً يختلف اختلافاً بينا عـــن التميـــيز الـــذى قدمـــه تشومسكى ، واستخدم فيه تشومسكى مصطلحى هوكت Hockett البنية الظاهرة surface structure والبنية الباطنة deep structure . (٢)

لقد انطلق هاليداي من نقطة قدمها فى بحثه عن الفصـــائل ســـنة ١٩٦١ هى أن علاقة الترتيب order بين عناصر التركيب فى الوحـــدة المرادة مختلفة عن علاقة التسلسل sequence بين المحققات الســطحية للتركيب ، وهى أشدّ تجريداً منها وأعمق ، فالتسلسل ما هو إلا طريقـــة من طرائق كثيرة تتحقق بها العلاقات التركيبية ، من ثم فإن محققـــات الأصناف النحوية فى علاقاتها الأفقية التسلسلية تمثل المظهر الخـــارجى surface manifestation على حيـــن أن العلاقـــات التركيبيـــة بيـــن

---

(1)Ibid ,p.53

(2)Halliday , M .A.K. (1966) : Deep grammar : system as semantic choice, in : Kress, G (ed) 1976 p . 88

العناصر المجردة مثل المسند إليه ، والمسند والتكملة ، والمستلحق تمثل البنية الباطنة للأنماط الأفقية أو التركيبية ، وكلتا البنيتين الباطنة والظاهرة موصولة عند هاليداي بالتحقيق [١] فهو المعبر من هذه إلى تلك ، والتراكيب structures هى التى تمثل العلاقات الأفقية الباطنة ، والأنظمة هى التى تمثل العلاقات الرأسية الباطنة. [٢] على أن العلاقة بين المعنى المحتمل ، والمعنى المحقق فى النحو النظامى تختلف اختلافاً بيناً عن العلاقة بين السليقة competence والأداء performance فى النحو التحويلى، فالنحو النظامى لا يميز إطلاقاً بين المعنى المحتمل وتحقيق هذا المعنى فى سياق محدد. إنه لا يفسر المعنى المحتمل بوصفه " نمذجة " للمعرفة التى يحوزها ابن اللغة ، ولا يرى المعنى المحتمل ضرباً من البنية الباطنة deep structure يتطلب تحويلات متعددة لإنتاجه فى البنية الظاهرة المستخدمة فعلا. فالتحقيق فى النحو النظامى يمثل اختيار المتكلم من المحتمل، ولهذا فالنحو النظامى نحو استعمال. [٣]

لقد اتخذ هاليداي خطوة من أكثر الخطوات حسماً فى تطور نموذجه تتمثل فى القول بأن العلاقات الرأسية paradigmatic relations لا تقل فى أهميتها عن العلاقات الأفقية • وظاهر أن إعطاء هاليداي الأولوية للعلاقات الرأسية يخالف مخالفة صريحة الاتجاه التحويلى التوليدى الذى يكاد يقصر اهتمامه على العلاقات الأفقية

---

(1)Butler , Ch. S. (1985) p . 45

(2)Ibid , p 45 f

(3)Morley , G . D . (1985) p . 43 f

syntagmatic relations .[١]

ويقرر هاليداي أن النحو الباطن نحو دلالى سواء اعتبرنا الدلالـــة مدخلاً input وفاقاً للامب ، أم اعتبرناهـــا تفسـيراً interpretation وفاقاً لتشومسكى ، وليس من شك عنـــده فـــى أن الســمات النظاميـــة systemic Features ، وهى جــزء من النحو النظامى ، وثيقة الصلة بعلم الدلالة.[٢]

لقد تمسك هاليداي منذ البداية ــ موافقاً فيرث ــ بأن العنـــاصر اللغوية ذات معنى، لكنه هنا يطالب مطالبة صريحة بأن يكــون النحـــو انعكاساً للمعانى من خلال اختيارات من أنظمة ، ومجموع أنظمة اللغـــة هو الذى يكون نحوها الباطن.[٣]

رابعا : وظائف اللغة وفرضية المكونات الوظيفية :

عنى هاليداي بالإجابة عن السؤال : لم كانت اللغة على هذا النحو الذى هى عليه ؟،[٤] وكانت الإجابة عنده هى أن طبيعة اللغة تتصـــل اتصالاً وثيقاً بما نريده منها ، وما نريده منها هو الوظائف التى تقوم بها اللغة من حيث هـــى نشـــاط اجتمـــاعى لإشـــباع الرغبـــات وتحقيـــق

(1)Malmkjær, K.:Systemic Grammar, in Malmkjær, K.(ed) 1991 p448
- Morley , G. D . (1985) p 42
(2)Halliday , M .A.K. (1966) in kress, G. (ed) 1976 p 94
(3)kress, G. (ed) 1976 p .xix
(4)Halliday , M .A.K . (1970) : Language Structure and Language Function , in: Lyons, J. (ed.) , (1975) P . 141

المتطلبات.[1] فليست وظائف اللغة إلا الطرائق التى يستعمل بها الناس لغتهم لإنجاز عدد من الأهداف المختلفة والأغراض المتباينة ، فوظائف اللغة فى أبسط معانيها مرادفة لاستعمالاتها. [2]

وقد أشار هاليداي إلى محاولات سابقة لتصنيف وظائف اللغة قام بها عدد من العلماء والباحثين [3]منهم مالينوفسكى (١٩٢٣) الذى قسم اللغة إلى فئتين كبيرتين إحداهما مقامية pragmatic ، والأخرى سحرية magical ، فقد كان الرجل بحكم كونه متخصصا فى علم الإنسان معنيا بالاستخدامات العملية والمقامية للغة فضلاً عن اهتمامه بالاستخدامات الطقوسية أو الدينية.

ومنهم كارل بيولر Karl Bühler (١٩٣٤) الذى اهتم بوظائف اللغة من وجهة نظر لا تعنى بالثقافة ، بل بالفرد، فميز بين ثلاث وظائف : تعبيرية expressive تتجه إلى النفس أى أنها منوطة بالمتكلم، ونزوعية conative وهى التى تتجه إلى المخاطب، وتمثيلية representational وهى التى تتجه إلى سائر الموجودات، أى إلى غير المتكلم والمخاطب.

وقد تبنت مدرسة براغ اهتمام بيولر بوظائف اللغة، ووسعها من بعد رومان ياكوبسون ١٩٦٠ فأضاف ثلاث وظائف أخرى هى الوظيفة

---

(1) Ibid , P 142

(2). (1990) p . 15

- Halliday , M .A.K & Hasan , R

(3)Ibid , P 15 ff

الشعرية poetic وتتجه إلى الرسالة message ، والوظيفة التعاملية transactional وتتجه إلى قناة الاتصال channel ، والوظيفة الماورائية أو الواصفة metalinguistic وتتجه إلى الشفرة code.

وذكر هاليداي أن جيمس بريتون J. Britton (١٩٧٠) وضع إطاراً يتألف من الوظائف التعاملية والتعبيرية والشعرية للغة ، وربط ذلك بقدرات الكتابة عند الأطفال ، فهى ـ فيما يرى ـ تتطور فى سياق تعبيرى متجهة إلى الكتابة التعاملية transactional ثم الكتابة الشعرية poetic .

وأشار هاليداي إلى أن ديزموند موريس D. Morris قدم سنة ١٩٦٧ تصنيفاً آخر لوظائف اللغة يتمثل فى الحديث الإخبارى informational talking والمزاجى mood ، والاستكشافى exploratory ، والمتلطف grooming ، فالأول يقوم على تبادل المعلومات ، والثانى وظيفته تعبيرية ، والثالث يؤدى وظائف جمالية ، والرابع ثرثرة مهذبة تستخدم فى المناسبات الاجتماعية ، وهو ما أطلق عليه مالينوفسكى من قبل اتصال المجاملة أو التودد phatic communicution.

وقد رأى هاليدى أنه على الرغم مما يبدو فى هذه التصنيفات من اختلاف فهناك تماثل كبير بينها ، إذ تسلم كلها بأن اللغة تستعمل لتحقيق أهدافى وأهدافك تعبيراً عن النفس وتأثيراً فى الآخرين ، ولفت إلى أن

هناك وظيفة أخرى تتمثل فى الجانب الجمالى أو التصوير المجازى.[1]

وقد مكنه النظر فى هذه الوظائف من القول بأن الوظيفة عند هؤلاء تعادل الاستعمال ، بيد أنه أراد أن يخطو خطوة أخرى تتجاوز ذلك إلى القول بأن وظيفة اللغة ليست مجرد استعمال لها ، بل هى بنية ذاتية أو أساس مكين من أسس تكوين اللغة ذاتها لا بدّ منه لإدراك نظامها الدلالى على وجه الخصوص ، فالوظيفة إذن ليست مجرد استعمال للغة ، بل هى خاصية جوهرية للغة نفسها ومكون من مكوناتها.[2]

من هنا تجاوز هاليداي ما قدمه سابقوه من تصنيفات لوظائف اللغة تتجه كلها اتجاهات اجتماعية أو نفسية إلى وصف لوظائف اللغة يصلها بالنظام اللغوى.[3] فإذا فتشنا المعانى الكامنة فى اللغة وجدنا عدداً ضخما من الاختيارات تضمها شبكات مستقلة من الإمكانات ، وهذه الشبكات تنسجم مع وظائف أساسية محددة للغة ، وهذا يجعلنا قادرين على أن نصف الوظائف المختلفة للغة من حيث إن لها صلة وثقى بالتركيب اللغوى بدلاً من الاتجاه بها وجهة اجتماعية أو نفسية.[4]

---

(1)Ibid , P 16

(2)Ibid , P 17

(3)Halliday , M .A.K . (1970), in : Lyons, J. (1975) p . 142

(4)Ibid , P 142

لقد لحظ هاليداي سنة ١٩٦٨ أربعة مكونات وظيفية functional components أطلق عليها : المكون التجريبي experiential ، والمكون المنطقي logical ، والمكون الخطابي discoursal، والمكون الكلامي الوظيفي speech functional أو المكون التبادلي interpersonal ، ثم أعاد النظر فيها سنة ١٩٧٠ فضم المكونين التجريبي والمنطقي تحت مصطلح جامع هو الوظيفة الفكرية ideational ، وأعاد تسمية المكون الخطابي ليصبح الوظيفة النصية textual وأبقى على المكون التبادلي مطلقاً عليه الوظيفة التبادلية.(١) ثم قدم تحليلاً للنصوص من خلال هذه الوظائف مستبدلاً بالوظيفة المعنى ، لأن الوظيفة عنده هي المعنى فتحدث عن المعنى التجربي والتبادلي ، والمنطقي ، والنصّي. (٢)

هذه المكونات الوظيفية هي التي يقوم عليها النظام الدلالي للغة ، فعلم الدلالة لا يقتصر على معاني الكلمات ، بل هو النظام الشامل لمعاني اللغة يعبر عنه بالنحو كما يعبر عنه بالمفردات ، والسلاسل النحوية نفسها تحتوي على كلا النوعين المعجمي كالأفعال والأسماء والنحو كأدوات التعريف ، والشرط والربط والإضافة ... الخ. (٣)

---

(1)Ibid , P.143.
- Butler , Ch.S. (1985) P . 74
(2)Halliday , M .A.K .& Hasan , R. (1990) P. 18 ff
(3)Malmkjær , K . (1991) p. 142
- Kress, K. (ed) 1976 P . xx

وسوف نعرض الآن لهذه المكونات ؛ لأنها مفتاح أساسـى مـن مفاتيح النظرية اللغوية عند هاليداي: [1]

١ ـ المكون الفكرى :

وهو تجسيد لخبرة المتكلم بعالم الواقـع سـواءً فـى ذلك العـالم الخارجى الذى يحيط به ، أو العالم الداخلى الذى يدور فـى أعماقـه ، ويمثل وعيه الخاص. [2]

هذا المكون الفكرى يتفرع كما أشرنا إلى مكونين فرعيين:

أحدهما : المكون التجريبى experiential :

وهو يعنى بـالتعبير عـن العمليـات processes والمشـاركين participants والظروف circumstances ، ونحو ذلك .

الثانى : المكون المنطقى logical :

وهو يزودنـا بالتعبير اللغوى عن العلاقات الجامعة universal relations ، كتلك التـى تكـون بالربـط co- ordination أو التفريـع subordination أو الشـرط أو الإضافة أو البدل...الخ. [3]
فنحـن نقـول مثـلاً نسـى الرجل المفتاح ثم عـاد ليأخـذه لكننا لا

(1)Butler, Ch.S. (1985) P . 46

(2)Halliday , M .A.K . (1970), in : Lyons, J. (1975) p . 143

(3)Halliday , M .A.K . (1968) : Notes on transtivity and theme in English . part 3 . Journal of Linguistics no 4 P . 259
- Halliday , M .A.K . & Hassan , R . (1990) p . 18 f , 25 f

نستطيع أن نقـــول : عاد ليأخـــذه ثم نســـى الرجل المفتاح.[١]

٢ ـ المكون التبادلى :

وهو أولاً : تأسيس للعلاقات الاجتماعية social relations بيـــن الناس أو حفاظ عليهـــا ، وذلك بفتح قنوات الاتصـــال بينهم أو إبقائهـــا مفتوحـــة كالتحيـــات والحـــديث عن الطقس، أو السؤال عن الحال. وتبادل الأقوال فى هـــذا المجال يجرى على أنماط من الصياغة مـــن الممكـــن توقعها، لا يكـــاد يخرج عنها أحد، فذا خرج عنها عـدّ قوله شاذا أو خارجاً عن المألوف.[٢]

وهو ثانياً : وسيلة instrument للتأثير فى ســـلوك الآخريـــن ، وتوجيههم إلى أشياء معينة قولاً أو فعلاً ، كالرجـــاء ، والاستفسار، والنصح، والنـــهى، والتحذيـــر والأمـــر، والتهديد ... الخ.[٣]

وهو ثالثا : تعبير عن موقف المتكلم قبولاً أو رفضاً، أو ترجيحـــا أو شكاً أو توقعاً أو اندهاشا أو آسفاً ... الخ.[٤]

---

(1)Morley, G.D. (1985) p . 44 f

(2)- Halliday , M .A.K . (1970), in : lyons, J. (1975) p . 143
- Halliday , M .A.K . & Hasa n , R . (1990) p . 20
- Morley, G.D. (1985) p . 44

(3)Morley, G.D. (1985) p . 45 f

(4)Ibid p . 46

٣ ـ المكون النصّى :

وهو المسئول عن تحقق المكونين السابقين من خلال نـــص text مناسب للسياق يتميز بالتماســك coherence والــترابط cohesion ، ويجرى على أعراف أهل اللغة فى الاستعمال بحيث يجعل الســـامع أو القارئ قادراً على تمييز النص من مجموعة عشوائية مـــن الجمـــل.(١) إيضاحا لذلك نسوق المقارنة الآتية بين قطعتين إحداهما غير جديرة بأن تسمى نصا والأخرى جديرة بذلك. (٢)

القطعة الأولى :

وجد زيـــد حقيبة فى الطريـــق. أخـــذ زيـــد حقيبـــة. سلم زيـــد حقيبـــــة إلى قسم الشرطة. رجع زيد إلى بيته.

القطعة الثانية :

وجد زيد حقيبة فى الطريق فأخذ الحقيبة وســـــلمها إلـــى قســـم الشرطة ، ثم عاد إلى بيته.

والقطعتان متماثلتان فى المكونين الفكـــرى والتبـــادلى ، لكنـــهما مختلفتان فى المكون النصّى ، فالقطعة الأولى تتجاهل حقيقة واضحـــة هى تكرار العناصر اللغوية ، فهـــى تعامل كل عنصر يذكر على أنـــه يذكر لأول مرة ، ولا تعنى بإقامة علاقة بين الجمل بعضها مع بعـــض،

---

(1)Halliday , M .A.K . (1970), in :Lyons, J. (1975) p . 143
- Halliday , M .A.K . & Hasa n , R . (1990) p . 22
- Butler, Ch.s. (1985) P . 47

(2)Berry , M . (1977) vol . 2 p . 119

أما القطعة الثانية فتستعمل أداة التعريف بعد أن صارت النكـــرة معرفة، وتستبدل بالاسم الظاهر ، الذى سبق ذكره ، ضميره ، وتستخدم وســـائل للربط بين الجمل • من ثم كانت القطعة الثانية جديرة بأن تسمى نصا.

وقـــد يقـــوم المكـــون النصي بمهمـــة إبـــراز prominence عنصر معين فى النص من خلال الوســـم markedness [1] كقـــولك: الله أســـأل لك التوفـــيق والســـداد أو قولـــه تعالـــى : **﴿أ أنت فعلـــت هذا ﴾**. (الأنبياء ٦٢).

ويؤكد هاليداي أنه ليس واحد من هذه المكونات أهم من الآخـــر ، ولا أشدّ تجريداً منه ، وليس منفصلا عن المكونـــات الأخـــرى ، بـــل تتداخل خيوطها جميعا مكونة نسيج النص ، فنحن لا نستطيع أن نقـــول إن لهذه العبارة مكوناً فكريا فحسب ، أو أن لتلك مكونا تبادليـــا فقـــط ، فالحياة على وجه العموم ليست كذلك ، ومن المؤكد أن اللغة ليست كذلك أيضا ؛ ففى كل نص تتعدد الوظائف والمكونات ، وما ينبغى أن ننظـــر إلى أى منها بمعزل عن الآخر بل ينبغى النظر إليها من جهات متعددة، كل جهة منها تسهم فى التفسير الكلى للنص أو الخطاب، وتلك طبيعـــة الاتجاه الوظيفى. [2] ويستخدم هاليداي أحياناً القياس علـــى الموســـيقى متعددة النغمات polyphonic music لإيضاح ذلـــك، إذ تجـــدل فيـــها خيوط عديدة من النغـــم لإنتاج اللحن الموســـيقى الكـــامل فـــى شـــكله النهائى، كذلك اللغة، كل خيط فى التركيب اللغوى مجدول مع واحد من

---

(1)Berry , M . (1977) vol . 2 p . 120 f

(2)Halliday , M .A.K . & Hasan , R . (1990) p . 23

المكونات الوظيفية. [1]

ولما كان اتجاه هاليداي إلى النحو ذى التوجه الدلالى واضحـــاً منذ سنة ١٩٦٦ فما بعدها لم يكن غريباً أن تصبح العلاقات الوظيفيـــة ذات التوجه الدلالى هى العناصر التى تكون خيوط التركيب فـــى كـــل مكون وظيفى، وأن تتمثل فى كل نمط من الأنماط المفاتيح فى النحـــو النظامى، وأهمها التعديـــة، والصيغة ، والموضوع ، وسوف نعـــرض لها الآن موجزين القول فيها :

التعدية transitivity :

التعدية مصطلح جامع يدل على التعبير اللغوى عـــن العمليـــات processes، وللعمليات أدوار وظيفية functional roles مختلفة تتمثل فى الحدث action والمشاركين فى العملية participants من أشخاص persons وأشياء objects ثم فى الظروف circumstances التـــى تقع فيها العملية ، شاملة الزمان ، والمكان ، والكيفية manner التـــى تتم بها[2] ، وهى تدخل تحت ما أسماه هـــاليداي المكـــون الفكـــرى أو الوظيفة الفكرية. [3]

والتعدية بجوانبها الثلاثة الأساسية: العملية، والمشارك، والظـــرف تطابق ثلاثة أصناف من الكلمات أو الضمائم موجودة فى أغلب لغـــات

---

(1)Butler, Ch.S. (1985) P . 48

(2)Halliday , M .A.K . (1970), in : Lyons, J. (1975) p . 146 f

(3)Ibid p . 145

العالم هى الفعل verb والاسـم noun والظـرف adverb • وفـى الإنجليزية تعبر الضمائم الفعلية عن العمليات ، والضمائم الاسمية عـن المشاركين، والظروف عن الأحـوال والظـروف circumstances ، ويدخل فى الظروف adverbs الضمائم الجريـة prepositional phrases . [١]

وكل عبارة تختار بين ثلاثة أنواع من العمليات: [٢]

١ - العمليات الفيزيائية physical أو المادية material ، مثـل غرس زيد شجرة، رمى على الكرة.

٢ - العمليات الذهنية mental مثل : عرف زيد الحق.

٣-العمليات العلاقية مثل: زيد هو القائد، ومثل زيد قائد شجاع.

وواضح من المثالين اللذين ذكرناهما للعمليـات العلاقيـة أنـها نوعان: تعادلية equative كما فى المثال الأول ، فزيد هـو القـائد ، والقائـد هو زيـد ، ونعتيه ahributive كما فـى المثـال الثانـى إذ إن زيداً فيه واحد مـن صنف القادة الشجعان. والعمليات الذهنيـة لا يمكن وصفها بمصطلحـى الفـاعل actor والمفعـول goal، بـل بمصطلحى القائم بالعملية processor والظاهرة phenomenon • أما فى العمليات الفيزيائية أو المادية فيجوز الوصف بمصطلحـى الفـاعل

---

(1)Ibid p . 146 f

(2)Berry , M . (1977) vol . 2 p . 9 f

والمفعول. [١]

والعبارات التى تختار العملية المادية تختار بعد ذلك بين عبارة لها مشارك واحد متأصل inherent ، أى فاعل منطقى agent ، وعبارة لها مشاركان اثنان ، أى فاعل منطقى ، ومفعول به . والمشارك إما أن يكون عاقلاً أو غير عاقل كما فى نحو : سبح زيد من الشاطئ إلى الجزيرة ، ونحو : انساب الجدول ، ونحو: غسلت هند الثياب ونحو قطعت السيارة المسافة فى زمن قصير. والعبارة التى تتم بالفعل فيها تسمى المتوسطة middle ، والتى يحتاج الفعل إلى مفعول به تسمى غير المتوسطة non – middle. [٢]

والعبارات التى تختار العملية الذهنية تختار بين ردّ الفعل مثل: قرر زيد إصلاح خطئه، والإدراك مثل: فهم زيد المسألة ، والتلقى مثل: سمع زيد ضوضاء، والتعبير اللفظى مثل قلت كلاماً مفيدا. [٣]

والعبارات التى تختار العمليات العلاقية تختار بين التعادلية equative والنعتية attributive. [٤]ومن الممكن أن نعرض ذلك فى شبكة مبسطة جدّاً على النحو الآتى : [٥]

---

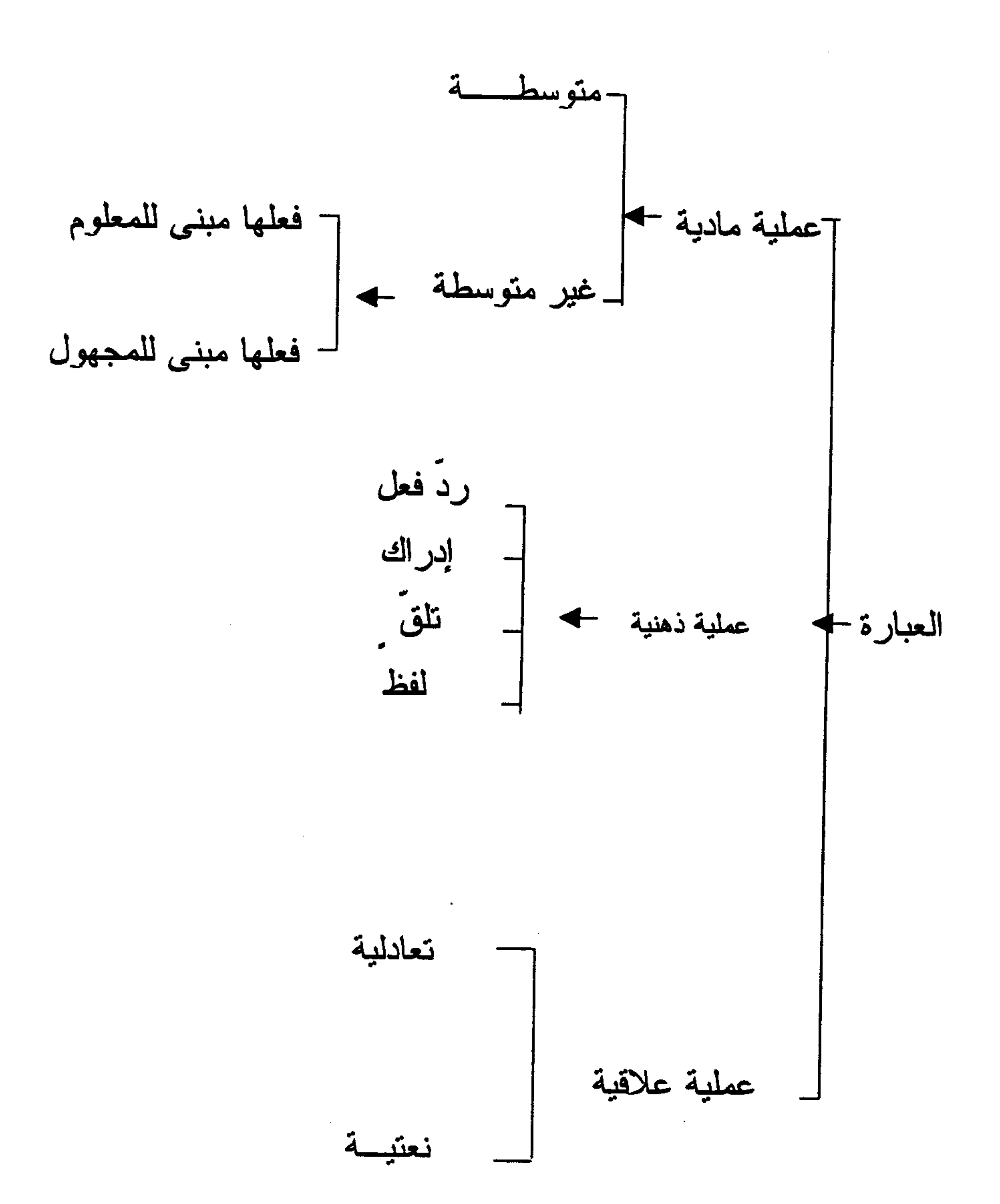
(1)Morley, G.D. (1985) p . 55

(2)Berry , M . (1977) vol . 2 p . 9 f
- Morley, G.D. (1985) p . 50 ff

(3)Morley, G.D. (1985) p . 57

(4)Ibid p . 55

(٥)انظر الشبكة المعقدة فى :
- Halliday , M .A.K .(1964) : English system network in : Kress, K . (1976) p . 110


متوسطـــــة
فعلها مبنى للمعلوم
عملية مادية
غير متوسطة
فعلها مبنى للمجهول
ردّ فعل
إدراك
تلقٍّ
لفظ
عملية ذهنية
العبارة
تعادلية
عملية علاقية
نعتيـــة

الصيغة mood :

تظهر الوظيفة التبادلية أو المكون التبادلى إن شئت واضحاً جليا فى نظام الصيغة.[1] وأنظمة الصيغة mood systems تميز ابتداءً – إذا طبقناها على اللغة العربية – بين الخبر والإنشاء[2] فالخبر ماله واقع يطابقه والإنشاء ما ليس واقع يطابقه ، والعبارة التى تختار الخبر يمكن أن تقوم باختيار آخر بين الاثبات أو النفى أو التوكيد، فإذا اختارت النفى فقد تختار بعد ذلك أن يكون النفى عاما أو محدوداً ، وإذا اختارت التوكيد فقد يكون لمضمون الجملة أو لأحد عناصرها • وإذا اختارت الإنشاء فقد يكون طلبيا أو غير طلبى ، فإذا كان طلبيا فالاختيار بين الأمر صريحاً أو ضمنيا والنهى صريحاً أو ضمنيا ، والاستفهام تصوراً أو تصديقاً ، والدعاء والنداء والتمنى ، والعرض والتخصيص. وإذا كان غير طلبى فالاختيار بين الشرط والإفصاح ، فإن كان شرطا فالاختيار بين الإمكانى والامتناعى، وإن كان إفصاحاً ، فالاختيار بين القسم صريحاً أو غير صريح والالتزام والتعجب ، والمدح والذم والإخالة. وليس لموقع المسند إليه فى العبارة العربية أثر فى معنى الصيغة أما فى الإنجليزية فوقوع المسند إليه subject قبل الفعل المطابق له يجعل العبارة إخبارية declarative، ووقوع الفعل قبل المسند إليه يحقق الاستفهام الذى إجابته نعم أو لا. أما الاستفهام الذى يبدأ ب - wh فالمسند إليه فيه يقع قبل الفعل إذا كان كلمة استفهام ،

---

(1)Butler , Ch . S . (1985) P . 49

(٢) انظر ص ١٢٤ من هذا البحث.

فإن لم يكن وقع الفعل قبل المسند إليه . أما فى صيغة الأمر من نحو Go away فقد اختار هاليداي أن يعدّ غياب المسند إليه حالة من حالات حذف ellipsis المسند إليه، ذلك بأنه مفهوم من الكلام وإن لم يصرح به ، فالسامع يدركه عقلا، لكن غيابه دليل على أن العبارة أمر.(١)

وقد لفتت برى إلى أن نظام الصيغة يدخل الجمل الفرعية كما يدخل الجمل الأصلية ففى الجملة الإنجليزية :

Shut th window or the house will be freezing by the evening

اختارت جملة shut the window عنصر الأمر من النظام أما الجملة الفرعية التالية فقد أتيح لها اختيار جديد فاختارت عنصر الإخبار. وكون الجملة الأصلية أمراً أشير إليه بعدم التصريح بالمسند إليه، وكون الفرعية إخباراً أشير إليه بذكر المسند إليه مقدما على الفعل المطابق له. (٢)

ويشير هاليداي إلى أنّ هناك ثلاثة أنواع من المسند إليه فى العبارة الإنجليزية: سطحى أو نحوى وهو مأخوذ من المكون التبادلى، وعميق أو منطقى حين يكون هو فاعل الحدث وهو عندئذ مأخوذ من المكون الفكرى ، ونفسى حين يكون هو الموضوع أو المتحدث عنه

---

(1)Halliday , M .A.K . (1985) P . 74.

(2)Berry , M . (1975) vol . 1 p . 147.

theme وهو مأخوذ مــن المكون النصى.[1]

الموضوع theme :

المقصود بالموضوع هــو الجزء الذى أريد إبرازه prominence توكيداً له ، أو اهتماما به أو جعله نقطة انطلاق إلى غيره، أو إحالــة إلى عنصر سبق ذكره.[2] ويكون إبرازه بنقله إلى الموقــع الأول فــى العبارة والنقل إلى الموقع الأول من العبارة يسمى الوســم markedness فإذا كان العنصر يشغل الموقع الأول فى العبارة أصالة فلا وسم من ثــم كان هناك فرق بين الموضوع الموسوم وغير الموسوم ، فالأول يقـــدم من تأخير ، والثانى يقع فى الموقع الأول أصالة فى الجملة الإنجليزية ، وهو الذى يطابق المسند إليه ، أما الأول فلا يطابق المسند إليـــه فقــد يكون مفعولاً به أو ظرفا أو جارّا ومجروراً أو غير ذلك من متممـــات الإسناد أو مستلحقاته.[3]

وللمكون النصى دور فى تركيب الرسالة ، والرسالة تتكون مـــن موضوع ومحمول ، واختيار العنصر الموسوم لـــه وظيفــة تماسـكية cohesive تلفت الانتباه إلى العنصر الذى وضع فى غير موضعـــه ، وعلاقته بالعناصر الأخرى ، كما تتصل بتقسيم عنصرى القضيـــة إلـــى معلوم Given وهو ما يفترض المتكلم أن السامع يعرفه ، وجديد New

---

(1)Halliday , M .A.K . (1970), in : Lyons, J. (1975) p . 159 f

(2)Berry , M . (1975) vol . 1 p . 161 , 165

(3) Ibid , p . 163

وهو ما يرد المتكلم الإخبار به أو يفترض أن السامع لا يعرفه. [١]

علم الدلالة الاجتماعى : sociological semantics

ظل هاليداي فى العقد السابع من القرن العشرين وفيـــا للـــتراث الفيرثى الذى يرى اللغة وثيقة الصلة بالحيـــاة الاجتماعيـــة للإنســـان ، فالنظام اللغوى لا ينفصل بحال عن السلوك الاجتماعى والتفاعل الثقافى، فعلم اللغة عند هاليداي لا يجعل أكبر همه المعرفة المختزنة فـى رءوس الناس كما هى الحال فى علـم اللغة التشومسكى ، بـــل اللغـــة فـــى تفاعلهـــا الحى بين أفراد جماعة بشرية. [٢]

ويرى هـــاليداي أن علـم الدلالـــة الاجتمـــاعى ملتقـــى أصيـــل لأيديولوجيين لغوية واجتماعية ، فإمكانات المعنى لها جانب لغوى تحققه اختيارات من النحو والمفردات ، ولهـــا جانب اجتماعى تحققه أنمـــاط السلوك التى هى تعبير عن التركيب الاجتماعى. [٣]

لقد كان من أهم خصائص علم اللغة عند هاليداي فـــــى أواخـــر العقد السادس من القرن العشرين توجهه الوظيفى ، وفى العقد الســـابع حاول أن يدمج الاتجاه الوظيفى فى الاتجاه الاجتماعى مع اهتمام متزايد

---

(1)Butler . Ch. S . (1985) P . 50

(2)Halliday , M.A.K. (1978) : Language as social semiotic . Edward Arnold . London p . 13

(3)Halliday, M.A.K. (1971): Language in social perespective, in : Halliday , M.A.K(1973): Explorations in the function of language , Edward Arnold. London p . 64 f .

بمركزية المعنى وتعليم الطفل لغته القومية.[1]

إن كلاً منا - بوصفه عضواً فى مجتمع ثقافى معيـــن وتركيـــب اجتماعى محدد - يتاح له مدى من الإمكانات options السلوكية يتمثـل فيما يسمى السلوك الكـامن behavioural potential، هـــذا الســلوك الكامن يتكون من " ما يمكن أن نفعل " وهو يشمل السلوك اللغوى كمـــا يشمل السلوك غير اللغوى[2]وما يريد هاليداي أن يدرسه هو ماذا يمكـــن أن نفعل باللغة " وهو يساوى عنده " ماذا يمكن أن يقصده المتكلم" مـــن بين مدى متاح له من المعانى المحتملة ، وهذه المعانى المحتملـــة تعـــد تحقيقاً لجزء من السلوك الأعلى الكامن higher behaviour potential، والمعانى الاحتمالية، أو قل الاختيار منها يتحقق بدوره فى صيغ واقعية هى العناصر المعجمية والمبانى التركيبية على النحو الذى يمكن للمتكلم أن يقوله.[3] وعلى ذلك فعلم الدلالة الاجتماعى يمكنه الصعود إلى شبكة الإمكانات السلوكية التى هى خارج اللغة. والهبوط إلـــى نحـــو اللغـــة ومعجمها. ومن الممكن أن نعرض هذه العلاقات على النحو الآتى:[4]

---

(1) Butler , Ch.S. (1985) p . 58

(2) Ibid , P 58

(3) Ibid , P 58

- Halliday , M .A .K . (1973) p . 51

(4)Butler , Ch . S. (1985) p . 59.

يمكن أن يفعل		يمكن أن يقصد (= يعنى)		يمكن أن يقول
السلوك الكامن	يتحقق بـــ	السلوك اللغوى الكامن	يتحقق بـــ	الاستخدام النحوى المعجمى المحتمل

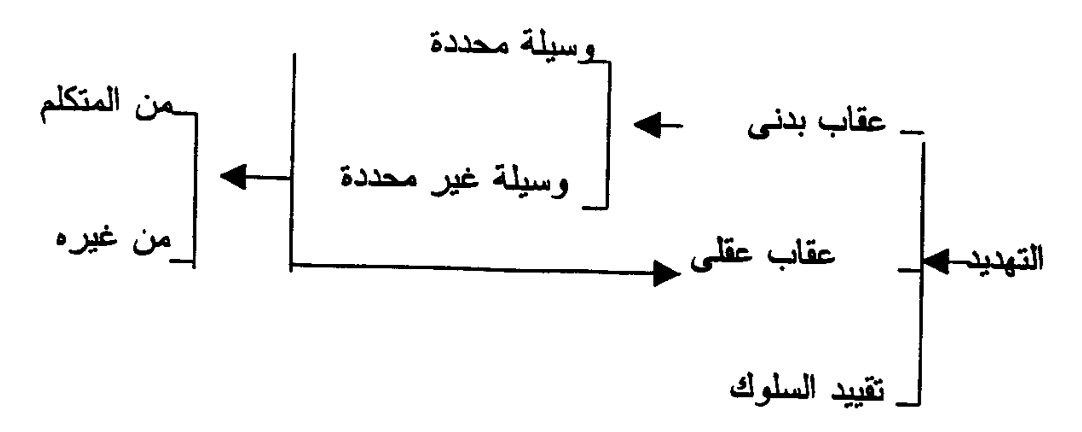
المدخل input الاجتماعى إلى علم الدلالة هو إذن مجموعة من المواقف والأوضاع ، والمخرج output اللغوى يمثل بمفهوم المكون الوظيفى شبكات التعدية ، والصيغة ، والموضوع ، والمطلوب هو المطابقة بين شبكات الدلالة الاجتماعية ، والنحو المعجمى، ولن نتوقع تطابقاً حرفيا واحداً لواحد بين الإمكانات الدلالية والنحوية، بل قد يعبر عن واحد منها بعدد من السمات النحوية المعجمية فى وقت واحد. (١)

لقد ناقش هاليدى نفسه السياق الاجتماعى لتحكم الأم فى الطفل بالوسائل اللغوية المتاحة للاستنكار disapprobation معتمداً فى ذلك على معجم روجيه الموضوعىّ Roget's thesaurus ، (٢) وسوف نكتفى هنا بعرض جزء من الشبكة خاص بالتصنيف الفرعى لتهديد الأم لطفلها. (٣)

(1)Ibid , p. 60

(2)Halliday , M .A .K . (1973) p . 58 – 62

(3)Butler , Ch . S. (1985) p . 61.



وأمثلة التهديد تصسفها الشبكة والمرتبطة بقواعد التحقيق ، وهـــى كلهـــا قد تكون مصحوبة بشرط صريح مثل : إذا فعلت ذلـــك ... أو : إذا فعلت ذلك مرة أخـــرى ، أو : إذا استمررت فـــى فعل ذلك ...

- فسوف أصفعك (عقاب بدنى، وسيلة محددة، من المتكلـــم).
- فسوف يضربك أبوك (عقاب بدنى ، وسيلة محددة ، من غـــير المتكلم).
- فسوف أغضب عليك (عقاب عقلى ، من المتكلم).
- فسوف يغضب عليك أبوك (عقاب عقلى، من غير المتكلم).
- فلن تلعب الكرة بعد الآن (تقييد للسلوك).

وقد اتضح فى أعمـــال هاليداي منذ منتصف العقد السابع مـــــن القـــرن العشريـــن مفهـــوم النظـــــأم الســـلوكى الأعلـــى higher behavioral system ، وأصبحت المعانى الكامنة فى لغـــة مـــا ، أى نظامها الدلالى ، تحقيقا لمستوى أعلى من العلاقات التى تنتمـــى إلـــى

السيمية الاجتماعية[1] وكان لنظرية اللغة بوصفها تحقيقاً للسيمية الاجتماعية عناصر عديدة أدمجها هاليداي فى نموذج لغوى اجتماعى عام، وهذه العناصر هى: النص ، والموقف ، واللغة الخاصة ، والشفرة، والنظام اللغوى، والتركيب الاجتماعى • وسوف نعرض لهذه العناصر الآن عرضاً موجزاً :

النص : text :

عنى هاليدى فى أعماله المتأخرة عناية بالغة بالنص بوصفه واحداً من أهم المفاهيم فى نموذجه النحوى • والنص عنده هو الوحدة الأساسية لعلم الدلالة ؛ إنه فى علم الدلالة بمنزلة الجملة فى علم النحو ، والفونيم فى علم الصواتة (الفونولوجى)، [2] ولذلك ينبغى ألا يعدّ النص توسعاً فى مدى الرتبة صعوداً من الجملة إلى النص فيصبح وحدة تعلو الجملة أو جملة عليا supersentence ، فهو ليس وحدة تركيبية ، بل هو وحدة دلالية لها تركيبها الخاص. [3]

من هنا كان من غير الجائز أن يحدّد النص على أساس من حجمه أو طوله، كأن يقال إنه أكبر من الجملة، أو اطول منها؛ فقد يكون من القصر بحيث يتكون من جملة واحدة ، وقد يكون من الطول بحيث

(1)Ibid , p 62

(2)Halliday , M .A .K. (1978) p.109

- Parret, H . (1974) p. 101

(3)Halliday , M .A .K . (1978) -p . 109

يكون رواية كاملة ، أو ما قيل فى ندوة ، أو اجتماع لجنة [1] وليس من المقبول أيضا أن يقال إن النص يتكون من جمل، بل الأقرب إلى القبول أن يقال : إنه مشفر encoden فى جملة أو أكثر ، وإن شئت الدقة فهو وحدة دلالية تتحقق بوحدات معجمية نحوية أو تشفر فيها ، وهذه الوحدات النحوية المعجمية تتحقق بدورها فى وحدات صواتية (=فونولوجية) أو خطية (= كتابية) ، أو تشفر فيها [2] وعلى ذلك ليست وظيفة النص مقيدة بتأسيس علاقات بين الجمل ، وليس من المستطاع معالجة نظرية النص على أنها توسعة لنظرية النحو. [3]

وليس تحديد النص معضلة ، فكل متكلم طبيعى أو كاتب يدرك أن ما يقوله أو يكتبه نص من النصوص ، فالنص لا يعدو أن يكون رسالة يراد إبلاغها ، والرسالة وحدة دلالية متماسكة ، فإذا تمت الرسالة فقد اكتمل النص ، ولا تكون سيطرة كل من المتكلم والسامع والكاتب والقارئ على لغته كاملة إلا إذا استطاع أن يميز بين النص text و اللا نص non-text ، أو بين الوحدة الدلالية المتكاملة المتماسكة معنى وصياغة وبين مجموعة عشوائية من الجمل لا يجمع بينها جامع ، ولا يربطها رابط كالأمثلة التى تساق فى كتب النحو إيضاحاً لقاعدة أو تدريباً عليها ، أو قائمة الكلمات التى ينتظمها المعجم [4] ولا يكاد المرء

---

(1)Butler, Ch.s. (1985) p. 63

(2)Halliday, M.A.K. (1975) : learning How to mean – explorations in the Development of Language . Edward Arnold – London P . 23

(3)Halliday, M.A.K. (1990) p . 10

(4)Halliday , M .A .K & Hasan , R.(1980) p. 1 f
- Halliday , M .A .K & Hasan , R.(1990) p. 10

يواجه فى التفاعل اللغوى الحىّ بظاهرة اللا نص ، فاللانص محض هراء non-sence لا يلتفت إليه أحد ، ولا يعتد به سامع أو قارئ.[١] والنص يتميز عن اللانص بخاصية النصّية texture التى تقوم على ركنين أساسيين هما : التماسك الداخلى internal cohesiveness وسياق الحال context of situation الذى " يكبسل" فيه النص أو يتجلى فيه.[٢]

وللنص فضلا عن ذلك خاصيتان أساسيتان إحداهما أنه نتاج product بمعنى أنه مخرج output ، أى أنه شئ يمكن تسجيله ودراسته ، وله تركيب معين يتمثل فى منظومة من العناصر ٠ والثانية أنه عملية process اختيار دلالى ٠ إنه حركة خلال شبكة من المعانى الممكنة محكومة بنظام دلالى وتركيبى ، ومهمة عالم اللغة هى الجمع بين هاتين الخاصيتين للنص ، وربطهما كليهما بمفهوم النظام الذى يكمن خلفهما.[٣]

والنص من الوجهة السيمية الاجتماعية حدث تفاعلى interactive event ، ولذلك فالهيئة الأساسية التى يتخذها النص هى الحوار dialogueالقائم على التفاعل بين المتكلمين والمخاطبين ، ولا يعنى هذا أن الحوار أهم من الأنواع الأخرى من النصوص ، و إنما الملحوظ أنه يرتبط بالمحادثة العفوية التى يقوم بها الناس كل يوم ، لذلك فهو النوع

---

(1)Halliday , M .A .K & Hasan , R.(1980) p.23.

(2)Ibid , P. 2 f

- Halliday , M .A .K & Hasan , R.(1990) p. 11

(3)Halliday , M .A .K & Hasan , R.(1990) p . 10 f

الذى يستثمر فيه الناس كل موارد اللغة ومصادرها ، ويتمثل فيه نــوع الموقف الذى يرتجلونه أو يبتكرونه ، وهو أيضـــا المجـــال الخصـــب للتطور أو التغير اللغوى غير الواعى فى أية لغة.[١]

الموقف : situation

الموقف عند هاليداي هو البيئة التى يولد فيها النص[٢]وهو بـــهذا المعنى مفهوم مستقر فى الدرس اللغوى منذ زمن بعيد يرجع على الأقل إلى س نة ١٨٨٥[٣]لكن ما يريد أن يضيفه هنا هو التنبيه إلى أن المراد بالموقف ليس العناصر المادية المحيطة بالحدث الكلامى ، وليس هـــو مسرح الأحداث المصاحبة للنص التى يمكن تسجيلها صوتـــاً وصـــورة لكنه مفهوم مجرد ، ينبغى تصوره لا على أنه موقف ، بل على أنـــه نمط موقف type of situation بـــالمعنى الـــذى يشـــير إليـــه برنشتايـــن بالســـياق الاجتمـــاعى social context [٤]،وهـــذا هـــو المقصود أساساً بما يسمى التركيب السيمى semiotic structure • إنه النجم القطبى الذى تدور حوله معانٍ مشتقة من النظام الســـيمى الـــذى يكون الثقافة. و لا سبيل إلى إدخال هذا المفهوم فـــى نظريـــة لغويـــة اجتماعية عامة إلا إذا كان على هذا النحو من التجريد ، فهناك خـــواص عامة لكل موقف تتحدد بها الصيغ الدلالية التى يستخدمها المتكلم فى هذا الموقف على وجه الخصوص، ومن ثم يستطيع السامع أن يقوم بتنبؤات

---

(1) Ibid , P . 10

(2) Halliday , M .A .K & Hasan , R.(1978) p . 109

(3) Ibid , P . 109

(4)Ibid , P . 109

بما يمكن أن يقصده السامع. [١]

والتركيب السيمى لنمط الموقف مركب من ثلاثة أبعاد أشرنا إليها قبلاً هى : المجال field ، ونوع المشاركة tenor والصيغة mode وهذه الأبعاد ليست أنواعاً من استعمالات اللغة ، وليست مكونات للحدث الكلامى ، بل هى إطار مجرد يعرض من خلاله السياق بوصفه بنية سيمية يمكن من خلالها أن يتبادل الناس المعانى. [٢]

لغة الموقف : register :

تتنوع اللغة بتنوع وظائفها ، وتختلف باختلاف المواقف التى تستخدم فيها ، والمصطلح الذى يطلق على تنوع اللغة على أساس من تنوع المواقف هو لغة الموقف. [٣] على أن هذه التنوعات ليست هامشية marginal ، أو خاصة special ، بل هى تشمل مجتمعة المدى الكلى لنشاطنا اللغوى. [٤]

ودراسة لغة الموقف محاولة للكشف عن الأسس العامة التى تحكم هذا التنوع ، وبهذا يمكن الوصول إلى الأنماط الموقفية التى تحدد السمات اللغوية. [٥]

---

(1) Ibid , P . 110

(2)Ibid , P . 110

(3) Halliday, M.A.K. (1974): Language and social man. Long man London p. 32.

(4) Halliday, M.A.K. et al (1964) P.89.

(5)Halliday, M.A.K. (1974) P.32.

لغة الموقف إذن مجموعة فرعية Subset من المعانى الكلية المحتملة تحققها سمات لغوية تعبر عن موقف معين تشترك فيه مجموعة متجانسة من الناس كرجال القانون أو المهندسين أو رجال الدين ، أو التجار أو أصحاب الحرف والمهن المختلفة ، أو من تجمعهم هوايات أو نشاطات مشتركة كمشجعى كرة القدم أو هواة جمع طوابع البريد، من خلال قيم المجال ونوع المشاركة والصيغة.

ولغة الموقف تتميز عن اللغة العامة بخصائص صوتية ، وصرفية ونحوية ، ودلالية. وما ينبغى الخلط بينها وبين خواص مستعمليها اللهجية أو المحلية ، فاللهجة تنوع لغوى خاص بالمستعمل user لغة الموقف تنوع لغوى خاص بالاستعمال use. وما ينبغى الخلط بينها وبين لغة كاتب أو شاعر، فهذه تميز شخصا عن غيره، وتلك تميز فئة عن أخرى. [١]

على أن هاليداي مال فيما بعد إلى أن تكون السمات المميزة للغة الموقف سمات دلالية اتساقاً مع انتقاله إلى نظرية تقوم على أساس دلالى دون إغفال لنمط السياق الاجتماعى أو الثقافى الذى تقع فيه. [٢] إنها عنده المعنى المحتمل الذى يمكن الوصول إليه فى موقف اجتماعى محدد. [٣]

---

(1)Halliday , M .A .K. (1978) p . 110
- Berry, M (1975) Vol. 1 p.2.
(2)Halliday , M .A .K. (1978) p . 111
(3)Halliday , M .A .K. (1978) p . 101

الشفـــرة code :

تأثر هاليداي بالنظرية الاجتماعية التى وضعها عـــالم الاجتمـــاع الإنجليزى بازل برنشتاين (١٩٢٤ ــ)، [١] وهى نظرية تعنى بعناصر الثبات فى المجتمع وعناصر التغير وليست مجرد نظرية فى الإخفـــاق التعليمي educational failure كما أشار إليها أحيانـــاً ، [٢] ويشـــغل الجانبان التعليمى واللغوى فيها جزءًا لا يستهان به ، وكان أهم ما عنـــى به ربط الإخفاق التعليمى بالاخفـــاق اللغـــوى linguistic failture ، وربط الإخفاق اللغوى بالطبقة الاجتماعية social class. [٣]

وقد ميز برنشتاين فى ذلك بين نوعين من الشـــفرات : موســـعة elaborated code ، ومقيدة restricted code فالشـــفرة المقيـــدة لا يستخدمها إلا المنتمون إلى الطبقة العاملة ، وهى تتميز بخواص لغويـــة أهمها فقر المفردات، وعدم الوضوح نسبيا ، والميل إلى استخدام ضمير الغائب والمخاطب أكثر مـــن استخدام ضمير المتكلم ، والإكثـــار مـــن الأسئلة التذييلية tag questions ، وحركـــات الجســـم المصاحبـــة ، والاعتماد على السياق. و أبناء هذه الطبقة يشتركون فـــى اهتماماتـــهم، ومن الممكن التنبؤ بأنماط السلوك اللغوى الذى يقومـــون بـــه إشـــباعاً

---

(1)Kress . G . (1976) P . xxi

(2)Halliday , M .A .K. (1978) p . 101

(3) Guy, G.R.: Language and social class, Newmeyer, F.J. (1995): Linguistics: in : the cambridge survey. IV Language: The scio – cultural context. Coabridge University press. P.45.

لوظائف لغوية محددة.[1] أما الشفرة الموسعة فيستخدمها المنتمون إلــى الطبقة العليا فى المجتمع ، وهى تميل إلى الوضوح ، والإكثــــار مــن استخدام الجمل المركبة ، والصفات ، والاستدلال المنطقى فوق أنه من العسير حصرهم فى اهتمامات محـــددة ، أو توقــع ســلوكهم اللغــوى والاجتماعى أما أبناء الطبقة المتوسطة فعندهم القدرة على استخدام كلتا الشفرتين والجمع بين خصائصهما.[2]

وعلى الرغم مما أثارته أفكار برنشتاين من جدل ، وما وجه إليها من نقد،[3] وعلى الرغم من أن هاليداي نفسه يعارض بعضها فقد تــزود منها بمفاهيم اقتنع بأن من الواجب الاستعانة بها فى أى تفسير للغـــة أو تحليل لها. وكان من أهم المفاهيم التى أفاد منها مفهوم الشفرة code ، فالشفرة عنده كما هى عند برنشتاين ، تنظيم سيمى يسيطر على اختيـار المعانى عند المتكلم وتفسيرها عند السامع ، وهى المتحكمة فى الأساليب الدلالية للثقافة ، وهى تتحقق من خلال لغة الموقف rigester ، لأنـــها هى التى تحدد التوجه الدلالى للمتكلمين فى سياق اجتماعى محدد.[4]

---

(1)Ibid P . 54.

- Halliday , M .A .K. (1978) p . 111 f
- Richards , J.C- platt,J.- platt, H. (1993) p.57.

(2)Richarols, J.C. et al (1993) P . 57

(3)Guy, G.R. (1995) P . 55

(4)Halliday , M .A .K. (1978) P.111

والشفرة عند هاليدى تساوى ما يمكن قوله ، وهو لذلك يرفض التفرقة بين الشفرة واستعمال الشفرة ، ويرفض من ثمَّ تفرقة تشومسكى بين السليقة competence والأداء performance ، ويرى هذه الثنائية مضللة ؛ لأنها لا تعدو أن تكون تفرقة بين ما يستطاع وصفه ، وما لا يستطاع. (١)

وهو يرى أن الإخفاق التعليمى مشكلة اجتماعية لكن لها جانبا لغويا يمكن أن نبدأ فى فهمه إذا أحطنا بالبيئة الثقافية للمتكلم ، فليس الجانب اللغوى هنا معنيا به الإخفاق فى تحصيل بعض قواعد النحو والصرف والمفردات ، لكنه إخفاق فى إدراك وظائف اللغة ، فالذى يفرق بين شفرة وأخرى هو الوظائف المختلفة التى يقوم بها كل منها،(٢) فالشفرات – كما رآها برنشتاين ووافقه هاليداي – هى استراتيجيات مختلفة للاستعمال اللغوى ، لكنها عند هاليداي ليست مرتبطة بطبقة معينة ، بل يستوى فيها كل إنسان سوى. (٣)

التركيب الاجتماعى social structure

هو شكل معين من أشكال مجتمع معلوم يعد مصدراً للعديد من المكونات الاجتماعيةِ اللغوية التى أشرنا إليها قبلاً ، فالتركيب الاجتماعى هو الذى يحدّد أى أنماط السياق الاجتماعى له أهمية مركزية كالمجال field ، ونوع المشاركة ، والصيغة mode ، وأيها هامشى ،

(1)Halliday , M .A .K. (1970) , in Lyons, J . (1975) p . 145.

(2)Halliday , M .A .K. (1978) p. 24 f

(3)Ibid P . 57

وهو الذى يحدد الشفرات المطلوبة للغة الموقف ، وهو يختلف عن النظام الاجتماعى ، إذ إنّ الاخير هو الذى يشمل العلاقات التفاعلية جميعها ، فهو من ثمَّ مساوٍ للثقافة culture. [١]

ويؤكد هاليداي أن التركيب الاجتماعى ليس خلفية زخرفية ornamental background للتفاعل اللغوى كما يميل إلى ذلك بعض الذين يناقشون المسائل اللغوية الاجتماعية ، لكنه عنصر أساسى فى تطور الأنظمة والعمليات الدلالية. [٢]

ويرى هاليداي أن ثمة ثلاث طرائق يندرج بها التركيب الاجتماعى فى النظرية اللغوية الاجتماعية : [٣]

الأولى : أن يعطى مغزى للأنماط المتنوعة من السياق الاجتماعى الذى تتبادل فيه المعانى. وما شبكات الاتصال التى تحدد ما أسماه هاليداي نوع المشاركة tenor إلا نتاج للتركيب الاجتماعى ، وهو أيضاً الذى يخلق المجال field الذى يدور حوله الحديث ، والصيغة mode أيضاً أو قناة الاتصال التى يتحقق من خلالها لغة وأسلوبا .

الثانية : أن يحدد الأنماط الحميمية للاتصال ويميز بينها وبين الأنماط الرسمية من خلال الوسيط اللغوى ، وأن يحدد أيضاً أشكال التهيئة الاجتماعية socialization للطفل.

---

(1)Butler, Ch.S. (1985) P. 68

(2) Halliday , M .A .K. (1978) p. 114

(3) Ibid , P . 113 – 114

الثالثة : وهى أكثرها تعقيداً أن يدخل من خلال الهرمية الاجتماعية social hierarchy فى شكل فئة اجتماعية caste أو طبقة اجتماعية class وتلك هى الخلفية الاجتماعية للهجات التى هى المظهر المباشر للهرمية الاجتماعية ، والتى هى أيضاً التعبير الرمزى symbolic expression عنها .

النظام اللغوى :

يتضمن النظام اللغوى عند هاليداي النظام الدلالى . والنظام الدلالى يطابق عنده ما أطلق عليه لامب الطبقة الدلالية semological stratum بمعناها الوظيفى لا المعرفى.[1]وقد أصبح النظام اللغوى عنده مؤلفاً من طبقات ثلاث، مؤثراً استعمال الطبقة stratum على المستوى level ، وهذه الطبقات هى : الطبقة الدلالية semantic stratum ، والطبقة المعجمية النحوية lexico- grammatical stratum، والطبقة الصواتية phonological stratum .[2]

فالطبقة الدلالية تتألف من المكونات الوظيفية للمعانى التى تظهر فى كل استعمال للغة فى كل سياق اجتماعى مجدولة معاً لتكون النص وهى المكونات الفكرية ideational ، والتبادلية interpersonal ، والنصّية textual وهى تعدّ مكونات النظام الدلالى ، وليست مجرد

(1)Halliday , M .A .K. (1978) p. 111

(2) Morley , G.D. (1985) P . 48

وظائف للغة تطابق الاستعمالات. [١]

والطبقة المعجمية النحوية تمدنا بقواعد النحو والصرف والمعجم اللازمة لصياغة النص ، فيتحقق بها المخرج output الدلالى. [٢] وهذه الطبقة هى التى تفسر لنا الطريقة التى يعبر بها عن المعانى • وتنعكس مكونات المعنى على النظام المعجمى فى هيئة شبكات منفصلة من الاختيارات ، ففى العبارة clause مثلاً يتمثل المكون الفكرى فى التعدية ، والمكون التبادلى فى الصيغة mood ، والصيغية modaity، والمكون النصى فى مجموعة من الأنظمة يشار إليها مجتمعة بالموضوع theme. من هنا كان التنظيم الوظيفى للمعانى فى اللغة يؤسس نواة النظام اللغوى من حيث هو تنظيم للطبقة المعجمية النحوية. [٣]

أما الطبقة الصواتية فهى تمدنا بأنماط التنغيم ، ونبر الإبراز prominence stress ، وأنماط الأصوات ، وغير ذلك مما هو لازم لتكوين أصوات النص. [٤]

وربما يبين الرسم التوضيحى المبسط الآتى تناول هاليداي العلاقة بين هذه الطبقات التى تكون النظام اللغوى ، والعلاقة بينها وبين لغة الموقف والسياق. [٥]

---

(1) Halliday, M.A.K. (1978) P.112.
(2)Morley , G.D. (1985) P . 48
(3)Halliday ,G.A.K. (1978) p. 112
(4)Morley , G.D. (1985) P .49
(5) Ibid, P .49

	السياق	لغة الموقف
النظام اللغوى	المعنى	علم الدلالة
	الصياغة	نحو معجمى
	البنية الصوتية	صواته
	الأصوات	علم الأصوات

تلك كانت مكونات الصورة الكلية للغة من حيث هى تحقيق للسيمية الاجتماعية وهى تتآلف جميعاً مكونة نموذجا وظيفيا اجتماعيا يغلب علية التوجه الدلالى، وهو النموذج الذى أصبح يمثل النظرية فى هذه المرحلة من تطورها.

خاتمـــة

أرجو أن يكون ما قدمت فى هذا الكتاب قد حقق المـــأمول منـــه تعريفاً بهذه النظرية اللغوية التى لم يكتب لها ما كتب لغيرها من الذيوع والانتشار فى العالم العربى خاصة على الرغم مما تتميز به من ضبــط منهجى، وتواؤم مع طبيعة اللغة ، وقابلية للتطبيق على اللغــة العربيــة تقصر عن بلوغ غايتها نظريات أخرى كالنظرية التحويلية التوليدية التى بلغ الاهتمام بها فى العالم العربى حدّاً لم تبلغه نظرية أخرى مــع مـــا فى تطبيقها على اللغة العربية من مشكلات عويصة لم تستطع محاولات الباحثين الدائبة حلها.

وقد كنت حريصا طوال البحث على إيراد الأمثلة من اللغة العربية إشعاراً بيسر تطبيق هذه النظرية على اللغة العربية ، حتى يتاح لـــى أو لغيرى دراسة اللغة العربية من خلال ما قدمـــه هـــاليداي مـــن أســـس منهجية، وطرائق فى التحليل ، فهاليداى نفسه يرى أن أية نظرية ليست جديرة بأن تسمى نظرية إلا إذا أمكن تطبيقها على كل اللغات.

ولعلّ أيسر ما يمكن البدء به هو تحديد أنظمة النحو العربى فـــى ضوء ما قدمه الرجل من ضبط منهجى لمفهوم النظام ، ثـــم بيان علاقة كل نظام منها بالآخر ، وكيف يعمل مع غيره ، وتجميع هذه الأنظمـــة فى شبكات كبرى ، وكيف تعمل كلها فى إطار نظام أعظـــم يمكـــن أن يسمى نظام الأنظمة وهو اللغة . وكل هذا ميسور لمن شـــاء الإقـــدام عليه، لأن فى نحونا العربى بيانا لا يشوبه لبس أو قصور لهذه الأنظمة

لمن يستطيع أن يجمـــع شـــتاتها ، ويســـتوفى أجزائـــها ، ويستكشـــف خصائصها ، ويستبين علاقة كل نظام منها أجزاءها، وكيف تعمل كلـــها فى وقت واحد لإنتاج المظهر اللغوى مسموعاً أو مكتوباً.

ولعل مما يستلفت النظر أننى لم اعثر على بحث واحد كتب باللغة العربية عن هذه النظرية مع شدة طلبى له ، وسعيي للوصول إليه، على كثرة الدارسين للنظريات اللغوية المعاصـــرة ، والباحثين فى مدارســـها المختلفة ، اللهم إلا ما ورد عنها فى كتاب مترجم عن المدارس اللغوية، مع أن المرحلة الأولي من هذه النظرية اتضحت معالمها منذ بداية العقد السادس من القرن العشرين ، أى أنه انصرم من عمرها قرابة أربعيـــن عاما من البحث الدائب الذى قدمـــه هاليداي ، وشاركه فيه عديـــد مـــن زملائه وتلامذته ، لا يكاد يحصيهم عدّ ، ووَجَدتُ من يطبقها على لغات كثيرة غير الإنجليزية • على أنى عثرت بعد جهد على كتاب عنوانـــه " أهم المدارس اللسانية " نشره المعهد القومى لعلوم التربية بتونس ســـنة ١٩٨٦ فلما تصفحته وجدته خلوا من هذه النظرية ، وإن تنـــاول أحـــد المشاركين فيه وهو عبد الحميد كون مدرسة لا تمـــت إلى هذه النظرية بصلة هى المدرسة النفسية النظاميـــة psycho systematique التـــى تسمى أيضا النفسية الآلية psycho- mecanique لجوسناف جيوم •

ولست أزعم أننى بهذا البحث وفيت النظرية حقها، فالاحاطة بمـــا كتبه هاليداي وصحبه لا يستطيع القيام به باحث فرد، وقـــد كان هدفى منذ البداية التعريف بهذه النظرية، و إبراز مكانتها بين النظريات اللغوية المعاصرة، وتتبع مصادرها العلمية، ونشأتها، وتطورها وبيان أسســـها

المنهجية، ومناهجها التحليلية لفتـا للباحثين إلى العناية بنظرية تسـتحق العناية بها، وحفزا لهم على الإفادة منها فى دراسة اللغة العربية وتجديد النظر فيها فى ضوء فكر لغوى مغاير لما شاع.

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل

أهم المصادر والمراجع

أ – العربية والمعربة :

١ – أحمد مختار عمر : مدرسة براغ اللغوية، فى: مجلة كلية الآداب والتربية، جامعة الكويت عـ ١١ يونيه ١٩٧٧.

٢ – تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها (القاهرة ١٩٧٣).

٣ – جفرى سامسون : مدارس اللسانيات : التسابق والتطور. ترجمة: محمد زياد كبة ـ منشورات جامعة الملك سعود . الرياض ١٤١٧هـ .

٤ – حلمى خليل : العربية وعلم اللغة البنيوى . دراسة فى الفكر اللغوى الحديث (الإسكندرية ١٩٩٦).

٥ – ر.هـ. روبنز : موجز تاريخ علم اللغة (فى الغرب) ترجمة أحمد عوض . عالم المعرفة ٢٢٧ الكويت ١٩٩٧.

٦ – كمال بشر : التفكير اللغوى بين القديم والجديد مكتبة الشباب (القاهرة د . ت).

٧ – محيى الدين محسب (١٩٩٨) اللغة والفكر والعالم. دراسة فى النسبية اللغوية الفرضية والتحقق – لونجمان.

٨ – ميلكا إفيتش : اتجاهات البحث اللسانى ترجمة : سعد عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل فايد . المجلس الأعلى للثقافة (القاهرة ١٩٩٦).

ب – الأجنبية :

1 - Berry, M. (1975): An Introduction to Systemic Linguistics I Structures and Systems. B.T. Bastford London and Sydney.

2 - Butler, Ch.S.: 1985 Systemic Linguistics . Theory and Applications London.

3 - De Beaugrande, R. (1991) : linguistic Theory. The Discourse of fundamental Works. Longman.

4 - Eggens, S (1994) An Introdnction to Systemic Functional Linguistics. Pinter publishers. London .

5 - Firth J .R . : (1957) Papers in Linguistics 1934 – 1951 , Oxford University press.

6 - Firth J.R. : Sound and Prosodies, in : Jones,W.E & lover, J.(eds) 1979 linguistics A book of Reading (longman).

7 - Firth, J.R. The Tongues of Men and speech. London (1964).

8 - Gardner, T. Einführung in die moderne englische phonologie. Heidelberg 1975.

9 - Guy, G.R.: Language and social class, Newmeyer, F.J. (1995): Linguistics: in : the cambridge survey. IV

Language: The scio–cultural context. Coabridge University press.

.10 - Halliday, M.A.K (1961): Categories of the theory of grammar, in: Kress,G.(ed) (1976):Halliday:System and Function in Langage . Oxford Universtiy press London

11 - Halliday, M. A .K: (1964) : Discriptive Linguistics in Literary Studies (Duthie , A (ed) : English Studies Today : Third Series. Edinburgh University Press.

12 - Halliday , M .A.K .(1964) : English system network in : Kress, K . (1976).

13 - Halliday , M .A.K. (1966) : Deep grammar : system as semantic choice, in : Kress, G (ed) 1976.

14 - Hallidany , M . A . K . (1969) : A brief sketch of systemic grammar in : Kress , G. (ed) : Halliday : System and Function in Language . Oxford University Press 1976.

15 - Halliday , M .A.K . (1968) : Notes on transtivity and theme in English . part 3 . Journal of Linguistics.

16 - Halliday , M .A.K . (1970) : Language Structure and Language Function , in: Lyons, J. (ed.) , (1975).

17 - Halliday , M.A.K (1985) An Introduction to Funtional Grammar. Edward Arnold , London . P : v

18 - Halliday, M . A . K : Language Structure and Language Function , in : Lyons , J. ((ed) 1975 : New Horizons in Linguistics . Penguin Books .

19 - Halliday, M.A.K(1966):Deep grammar:system as semantic choice, in : Kress. G.(ed) (1976).

20 - Halliday, M.A.K. (1975) : learning How to mean – explorations in the Development of Language . Edward Arnold – London.

21 - Halliday, M.A.K. (1971): Language in social perespective, in : Halliday , M.A.K(1973): Explorations in the function of language , Edward Arnold. London.

22 - Halliday, M.A.K. (1973) : Explorations in Functions of Language . Edwar Arnold. London.

23 - Halliday, M.A.K. (1974): Language and social man. Long man London.

24 - Halliday, M.A.K. (1978) : Language as social semiotic . Edward Arnold . London.

25 - Halliday,M.A.K.& Hasan, R(1990): Language, context and Text : Aspects of Language in Social-semiotic Persective. Oxford.

26 - Helbig, G. 1981 Geschichte der neueren Sprachwissenschaft. Opladen.

27 - Kress, G. (1976) : Halliday : System and Function in Language . London.

28 - Levinson, S.C. (1983) Pragmatics. Cambridge University press.

29 - Lyons , J . (1996) : Linguistic Semantics . An Introduction.

30 - Lyons, J (1977): Semantics. Cambridg University Press. Vol. 2.

31 - Lyons, J.:(1962) Phonemic and non –phonemic phonolgy : some typological reflections, in :Jones, W.E & Lover, J.(1979).

32 - Lyons, J: Firth's Theory of "Meaning" in: Bazel, C.E. – Catford, J.C. – Hallidany, M.A.K. – Robins, R.H.: (eds.) 1966. In Memory of J.R. Firth. Longman.

33 - MacArthur, T.C (1996): The Oxford companion to the English Language. Oxford University Press.

34 - Malmkjær, K. : Scale and Category Grammar, in : Malmkjær K.(ed) 1991 The Linguistics Encyclopedia. Routledge. London- New York.

35 - Malmkjær, K.: Functional Grammar, in Malmkjær, K. (ed) 1991.

36 - Martin, J.R.: Systemic Grammar, in : Bright, W . (ed)1992. International Encyclopedia of Linguistics.

37 - Mindt, D. (1975) Sprachtheorie M.A.K . Hallidays , in : Moderne Linguistik. Düsseldorf .

38 - Morley, G.D. (1985):An introduction to Systemic Grammar. Macmillan Publishers. Hong Kong .P.V

39 - Palmer, F.R . (1968) Selected Papers of J . R . Firth , Longmant.

40 - parret, H.(1974)discussing Language, Mouton, the Hague.

41 - Richards, J. C. – platt, J .– platt , H (1992) Dictionary of Language Teaching & Applied Linguistics – Longman.

42 - Robins,R.H.(1980): General Linguistics. An Introductory Survey. Longman London-Newyork P.282.

فهرس

رقم الإيداع
٩٨/١٦٢٧٦
الترقيم الدولى I.S.B.N
977-19-7588-9